بسم الله الرحمن الرحيم

"بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين"

(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صل الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا

"وبعد "

فهذه سلسلة في" بيان أصل الدين وعقيدة أهل السنة "

والرد علي غلاة التكفير"

حاولت الاختصار فيها بقدر المستطاع لتعم الفائدة

فهذه السلسلة لا ننكر فيها التكفير ولا نعطل أنزال أحكام الله جل وعلا علي المشركين (حاشا وكلا) فإجماع الأمة علي تكفير المشركين ، فكفر المشركين واضح في الكتاب والسنة وعليه الإجماع ولا يختلف في كفرهم أثنان من المسلمين كما قال القاضي عياض وابن حزم .

لكننا نرد على القائلين "بأن التكفير أصل الدين وهو من الفطرة " "ويكفرون بالتسلسل" سلسلة ابتدعها الغلاة

كفروا بها الأمة وعلمائها ودعاتها ومخالفيهم وكفروا المجاهدين أهل الثغور واسقطوا عن انفسهم الجهاد بحجة أن الرايات كلها كفر وجاهلية وتركوا الدفاع عن حياض الأمة حتى استباح العدو بيضتها وجلسوا على أريكتهم يُنظرون وغاية ما يستدلون به استنباطات فقهية وتفسيرات أولوها وفهموها حسب ما يعتقدون وتركوا المحكم من القول فالله المستعان!.

لذلك رأينا بيان "اصل الدين لدحض شبهه المبطلين وتحريفهم لكثير من المعاني والأقوال لتوافق ما يعتقدون

وسميتها "بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين"

تمهيد :

إن المرجع في مسائل أصول الدين هو الكتاب والسنة وإجماع الأمة المعتبر وهو ما كان عليه الصحابة الكرام والسلف الصالح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣٩٧/٣)

وَعِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ : هِيَ أَصْلُ الدِّينِ ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرُّسُلَ ، وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ ، فَقَالَ تَعَالَى : { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }

٢- أن أصل الدين قد بينه رب العالمين جل وعلا في كتابه وعلي ألسنة رسله الكرام وأرسل به الرسل وأنزل به الكتب وأقام به الحجة علي العالمين فهو فطرة الله جل وعلا ولايعذر فيه المكلف

فهو واضح جلي في كتاب ربنا جل وعلا وسنة نبينا صل الله عليه وسلم وقد قام أنبياء الله ورسله بدعوة الخلق إلى هذا الأصل العظيم

فلا يقبل تأويل ولا استنباط ولا زيادة ولا نقصان لأنه واضح جلي ولا يحتاج لعناء كما يصوره الغلاة ولا يحتاج لتنقيب فالله أعلم .

بخلقه ولا يكلفهم مالا يطيقون فجاءت الشريعة رحمة وتكليف وخاطب الله به الامم منهم الأعجمي ومنهم العربي وحاشاه أن يجعل اصل الملة ملتبس عليهم أو شيء مبهم يصعب على خلقه فهمه كما يتوهم المتوهمون !

أصل الدين هو : أن تعبد الله وحده لا شريك له ، وتكفر بكل معبود سواه .. هذا ما دلّ عليه الكتاب والسنة .. كقوله تعالى :

{ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } .. وقوله - صلى الله عليه وسلم -: { من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله } .

فارسل الله به الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد صل الله عليه وسلم . وعلمه أدم عليه السلام وأخذ على ذريته العهد والميثاق وأشهدهم علي أنفسهم بانه ربهم وخالقهم وأن يعبدوه وحده لا شريك له ولا ندا له ولا أله غيره فكان هو الميثاق والفطر بالإجماع

قال تعالي:

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)

قال تعالي :

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)

(قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ)

وهو حق الله علي العبيد كما جاء في حديث معاذ رضى الله عنه

(عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه و سلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟ قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا».

فحق الله علي العبيد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ومن ذلك أفراد الله جل وعلا بالعبادة ونبذ الشرك واجتنابه وبغض أهله ومعاداتهم وهي ملة إبراهيم عليه السلام قال تعالي

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) الممتحنة ٤

فهذه الآية العظيمة هي ملة إبراهيم عليه السلام وفيها براءتان براء من المشركين وبراءة من الشرك والكفر بمعبوداتهم

كفرنا بكم : أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله ، وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا

ومن هنا كانت دعوة الأنبياء إلى اقوامهم

أفراد الله بالتوحيد ونبذ الشرك واجتنابه ومعاداة أهله وبغضهم والكفر بكل معبوداتهم ويتضح بما سبق

أن أصل الدين هو : أفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له

والكفر بكل معبود سواه .. هذا ما دلّ عليه الكتاب والسنة

قال تعالي { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقوله - صل الله عليه وسلم :

{ من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ،

حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله }.

قال تعالي :{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }

فدعوة الرسل كلهم لأقوامهم عبادة الله وحدة لا شريك

والكفر بعبادة ما سواه (والكفر هنا يعنى البراءة والهجر وجحد عبادة غير الله واعتقاد بطلانها .

فلم يطلب الأنبياء من أقوامهم غير ذلك الأصل العظيم أفراد الله بالتوحيد والبراءة من الشرك والمشركين ونبذ الاوثان وخلع الانداد.

جاء في [فتح الباري] لابن رجب ، عن ابن سيرين ، بسند صحيح : نبئت أن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – كانا يعلمان الناس الإسلام : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة التي افترض الله لمواقيتها ، فإن في تفريطها الهلكة .

قال تعالي :

(وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ)

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ)

(وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ)

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

وهذا نبي الله يوسف عليه السلام يدعو من كان معه في السجن إلى هذا الأصل العظيم توحيد الله جل وعلا ونبذ الأنداد والأرباب

قال تعالي مخبراً عنه :

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)

وهنا لفتة أن يوسف عليه السلام كل من كان معه مشركين

قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلوات الله عليه قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن ، لأن أحدهما كان مشركًا ، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام وترك عبادة الآلهة والأوثان ، فقال:

(يا صاحبي السجن)، يعني: يا من هو في السجن، وجعلهما " صاحبيه " لكونهما فيه (أي في السجن) .

وهذا المسيح عيسي ابن مريم دعا بنى إسرائيل إلي عبادة الله جل وعلا وحذرهم من الشرك وأن عاقبة من يشرك بالله النار

قال تعالي (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النار).

{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}.

وجاء محمد صل الله عليه وسلم يدعو قومه إلى عبادة الله وحده

لا شريك قال تعالى

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) إلى قوله (فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون)

فهذا هو الأصل الذي دعت إليه الرسل ،انزلت به الكتب وعلمه الرسول صل الله عليه وسلم لأصحابه وأرسلهم في الأمصار لدعوة الخلق للتوحيد وليس للتكفير !

عن ابن عباس أن معاذا قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . ."

والشاهد هنا أن رسول الله صل الله عليه وسلم لما بعث معاذ رضى الله عنه قال له أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله "

فلو كان التكفير هو" أصل الدين " كما زعم الغلاة لقال له رسول الله صل الله عليه وسلم أدعوهم لتكفير أقوامهم " ولك أن تتأمل أخي المسلم أن معاذ ذهب يدعو قوم "مشركين "وقد بين له رسول الله صل الله دعوته كامله وذكر له كل شيء حتى الصدقة ودعوة المظلوم ،! ولم يذكر له التكفير تصريحا ولا تلميحا ! ومن المعلوم أنه لا يصح إسلام المشركين إلا بتحقيق اصل الدين ولا يدخل في الإسلام إلا بأصل الدين فإذا كان التكفير أصل الدين فلماذا لم يطلب منهم معاذ تكفير أقوامهم حتى يصح إسلامهم ؟!! والحديث واضح ذكر له رسوله الله صل الله عليه وسلم كل شيء إلا التكفير؟!!!

وقد عنون البخاري لهذا الحديث " باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام" ولم يذكر التكفير ؟!

ومما سبق يتبين لنا أن دعوة الرسل كانت دعوة للتوحيد الخالص وهو افراد الله بالتوحيد وليس أفراده بالتكفير فلو كان التكفير أصلا لبينته الرسل إلى أقوامهم حين دعوتهم وما قبلوا إسلامهم حتى يعلنوا تكفير أقوامهم (فلا يجوز تأخير البيان وقت الحاجة وهل

هناك أحوج للبشرية وأعظم من التوحيد)؟! فهل غفلوا عن هذا الأصل حاشاهم !

فالتكفير حكم الله وحكم رسوله وهو حكم شرعي كسائر الاحكام تعرف بالدليل من الكتاب والسنة والإجماع .

فالتكفير من لوازم " لا إله إلا الله ومن مقتضى الكفر بالطاغوت

وليس هو أصل الملة كما زعم الغلاة وليس هو الفطرة كما زعموا فمن قال أن التكفير أصل الفطرة فقد أفترى على الشرع الكذب .

إن التكفير حكم شرعي، كسائر الأحكام الشرعية، لا يصدر فيه إلا عن الأدلة الشرعية المعتبرة بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة والاجماع . أما أصل الدين فهو فطرة الله جل وعلا .

قال ابن الوزير اليماني : (إن التكفير سمعيٌ محضٌ ، لا مدخل للعقل فيه ، وأن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعياً قطعياً ولا نزاع في ذلك)) العواصم من القواصم ١٧٨/٤

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

[الكفرُ والفسقُ أحكامٌ شرعيةٌ، ليس ذلك من الأحكام التي يستقلُّ بها العقلُ ، فالكافر من جعله اللهُ ورسولهُ كافراً، والفاسق من جعله اللهُ ورسولهُ فاسقاً. كما أن المؤمن والمسلم من جعله اللهُ ورسولهُ مؤمناً ومسلماً . باختصار

فأصل الفطرة افراد الله جل وعلا بالتوحيد واخلاص العبادة لله وحدة وخلع الانداد ونبذ والأوثان .

ومن تمعن في كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة سيعلم أن دعوة الرسل أجمعين هي عبادة الله وحده لا شريك

وكذلك دعوة نبينا محمد صل الله عليه وسلم – لقومه

لم يطلب منهم سوى عبادة الله ، وخلع الأنداد،

في الصحيح عن طارق بن أشيم رضي الله عنه عَنْ النبي - صلى الله عليه وسلم - إنه قال: "مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى الله - عز وجل"

هذا الحديث واضح وهو الدعوة إلى التوحيد والكفر بالطاغوت لذلك قال : (وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله) فمعنى كفر أي تبرأ وجحد وانكر كل ما يعبد من دون الله

وهو نفس معنى الآية في سورة الممتحنة (كفرنا بكم) التي يحاول الغلاة في تأولها وافساد معناها الحقيقي الواضح الذى لا يحتاج لتأويل ولا استنباط (كفرنا بكم) هجرنا وجحدنا وتبرئنا مما انتم عليه من الكفر والشرك وليس معناها كما زعم المفلسون كفرنا بكم أي "كفرناكم" لا تستقيم من الناحية اللغوية ولا الشرعية ولا العقلية إذا أن الكفر هو الجحود والإنكار فلما أفلسوا تركوا الكلام والتفسير المحكم وذهبوا يبحثوا عن المتشابهة فقالوا الباء متعدية للتكفير فأبطلنا ما أحتجوا به فسبحان الله تركوا عشرات الأدلة وذهبوا يستدلوا (بالجر والمجرور) ليكفروا أمة محمد صل الله عليه وسلم!!

فالأحكام تبنى على الجزم واليقين لا على الظن والتخمين كما فعله الغلاة الظالمين ، ومن دخل الإسلام بيقين لا يخرج منه إلا بيقين .

وسيأتي التفصيل حول آية الممتحنة إن شاء الله ونبين سوء فهم القوم لأبسط قواعد التفسير

فمن المعلوم عند الخاصة والعامة أن عبادة الله دين وشريعة ،

وأن الإسلام هو دين عبادة الله وحده لا شريك له وهو أفراده بالتوحيد، وبهذا فقد دخل الاعتقاد بدين الإسلام في أصل الدين ، وهذا يدركه كل من فهم التوحيد والعقيدة .

وحيث إن عبادة الطاغوت دين وشريعة ، وإن دين الكفر هو دين عبادة الطاغوت، فقد دخل الاعتقاد بالبراءة من دين الطاغوت في أصل الدين ، وهذا يدركه كل من فهم التوحيد الخالص وحقيقته .

فيستحيل عقلاً وشرعاً أن يحقق العبد التوحيد الخالص لله جل وعلا الذى هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وأن الله هو المعبود الحق ، ثم يرى أن دين الطاغوت القائم على عبادته حقاً ، هذا لا يمكن عقلا وشرعا ولا يستقيم .

لذلك يقول ابن حزم - رحمه الله - في [الفصل : ٣٥/٤]

وقال سائر أهل الإسلام : كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لا يشك فيه ، وقال بلسانه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن كل ما جاء به حق ، وبريء من كل دين سوى دين محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فإنه مسلم مؤمن ، ليس عليه غير ذلك .

ومن اعتقد بالله رباً .. وبالإسلام ديناً .. لا بد أن يعتقد أن من عبد الله وحده ، ودان بدين الإسلام فهو مسلم موحد وإلا فإنه كاذب في دعوى الإيمان إذ كيف تعتقد بوحدانية الله ، وتعتقد بأن الإسلام حق ثم تعتقد أن من عبد الله واتبع دينه على باطل ؟؟ هذا ممنوع عقلاً وشرعاً ..

ومن كفر بالطاغوت .. وكفر بدينه .. لا بد أن يعتقد أن من عبد الطاغوت ، ودان بغير دين الإسلام ، فهو مشرك كافر وإلا فإنه كاذب في دعوى الكفر بالطاغوت .. لنفس العلة السابقة .

وكما يُلاحظ في هذه المسألة أن الله - عز وجل - أمر بعبادته وحده لا شريك له ابتداء ، وهو ما طلبه الرسل جميعاً من الناس ابتداء ..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى(٣٩٧/٣)

وَعِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ : هِيَ أَصْلُ الدِّينِ ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرُّسُلَ ، وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ ، فَقَالَ تَعَالَى : { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }

وحقيقة الإيمان .. أن يعرف العبد الرب الذي يؤمن به .. ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته .. وأفعاله ..ومعرفة دينه وشرعه .. حتى يبلغ درجة اليقين .

والله عزَّ وجلَّ .. خلق الخلق .. ليعبدوه .. ويوحدوه .. مع تمام المعرفة به سبحانه .. وهذه هي الغاية المطلوبة منهم

(لا يكلف الله نفس إلا وسعها) ..

فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق له العبد .. وتركه إهمال لما خُلق من أجله .

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (بل نُشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك)). مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣٤/٣)

يقول الشيخ عبد الله أبو بطين:- «ففرض على المكلف معرفة حد العبادة وحقيقتها التي خلقه الله لأجلها ومعرفة حد الشرك وحقيقته الذي هو أكبر الكبائر

إذاً أصل الدين الذي ذكره الله - تعالى - في كتابه ، ورسوله - صل الله عليه وسلم - في سنته ، يَظهر من منطوق شهادة "أن لا إله إلا الله "؛ ومعناها : لا معبود بحق إلا الله - عز وجل وهى نفى وإثبات" نفي الألوهية الحقيقية عن غير الله سبحانه، والثاني: إثبات الألوهية الحقيقية له سبحانه دون من سواه.

فيُؤمر العبد أن يوحد الله - سبحانه وتعالى - في عبادته ، ولا يُشرك به شيئاً في أيّ من العبادات ، وينبذ عبادة ما سواه ، ويعتقد بطلانها وهذا هو التكليف الشرعي للعبد الذى سيحاسب عليه العبد ،وهذا هو أصل الدين ودعوة الأنبياء والرسل .

وإدخال مسألة التكفير فيه مغالطة ومخالفة لما جاء في الكتاب والسنة .

فمسألة التكفير وموقعها من أصل الدين ، فلا دليل واحد يجعلها من أصل الدين بل هي من أصول الاحكام الشرعية ومن لوازم الدين، ولم يُذكر هذا عن السلف الصالح ولا عن الأئمة الأربعة ، ولا من أتى بعدهم.

فإذا كان التكفير من أصل الدين ، كما زعم القوم فلابد أن يكون هذا الأمر واضح جلي في كتاب الله جل وعلا ورسوله في وسنة رسوله ولعمل به الصحابة وتناقلوه بل السلف والخلف مختلفين في مسائل التكفير كما رأينا الخلاف الكبير بين علماء الأمة في هذه المسألة قديما وحديثاً فهل يختلف في أصل الملة يا عقلاء؟!!

وفي المقابل لم نجد نزاع بينهم في أصل الدين بل كلهم متفقون علي أصل الدين والإجماع علي ذلك لا يشك فيه عاقل

فلو كان التكفير أصل الدين وأصل الملة لرتب الله عليه ،

ثواب وعقاب "الثواب لمن كفر والعقاب علي من أمتنع عن التكفير !

فلم يجئ وعيد واحد في الكتاب والسنة فيمن توقف عن التكفير ؟

ليس معنى كلامنا أننا ندعوا إلى التوقف عن التكفير لكن من باب البيان ليفهم القوم حقيقة اصل الدين وما يترتب عليه.

وفى المقابل فقد رتب الله سبحانه وتعالي الثواب علي من دان له بالتوحيد واخلص عبادته لله وفي الصحيحين من حديث معاذ بن

جبل رضي لله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار"

وجاء أيضا في حديث معاذ (إن حق العباد علي الله إذا وحدوه أن يدخلهم الجنة وفى رواية أن لا يعذبهم)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا هريرة اذهب بنعلي هاتين -وأعطاه نعليه- فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة» أخرجه مسلم .

وعنه أيضًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله عبد غير شاك، فيحجب عن الجنة،" وفي رواية له أيضًا: «إلا دخل الجنة».

وعن عثمان، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»، قلت: "وإن زنى وإن سرق؟"، قال: «وإن زنى وإن سرق ثلاثًا»، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر»، قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: "وإن رَغِمَ أنف أبي ذر" (أخرجه البخاري

"ورتب سبحانه وتعالى العقاب والوعيد علي من أشرك في أصل الدين به قال تعالي:

(إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ)

فالتكفير هو حكم شرعي من أصول الأحكام وليس علي مرتبة واحدة وهو علي مراتب وقد يختلف فيه الخاصة والعامة حتى

الصحابة رضى الله عنهم اختلفوا في بعض مسائل الاحكام لكنهم لم يختلفوا في أصول الملة ولم تذكر لنا كُتب العقائد والسير أن الصحابة اختلفوا في أصل الدين بل كلهم متفقون .

فإذا جعلنا مسائل التكفير التي هي مسائل الأحكام أصل من أصول الدين فقد أدخلنا في أصل الدين ما ليس منه فيحدث الشطط .

إن جعل التكفير أصل الدين سيفتح بابا عظيما تُكفر فيه الأمة وعلمائها وأئمة الجهاد وسيصل التكفير للصحابة انفسهم وسوف نثبت ذلك بالدليل وبالمثال يتضح المقال

يقول شيخ الإسلام بن تيمية (فهذا موضع عظيم جدا ينبغي معرفته لما قد لبس على الطوائف من الناس أصل الإسلام حتى صاروا يدخلون في أمور عظيمة هي شرك ينافي الإسلام لا يحسبونها شركا وأدخلوا في التوحيد والإسلام أمورا باطلة ظنوها من التوحيد وهي تنافيه وأخرجوا من الإسلام والتوحيد أمورا عظيمة لم يظنوها من التوحيد وهي أصله). أنتهي

فعملية الادخال على أصل الدين هي قضية الخوارج ، والاخراج من أصل الدين هي قضية الارجاء والتجهم الذين أخرجوا الأعمال من مسمي الإيمان ، وهي تعتمد على أصول مخالفة ومن ثم فهي بدعة وضلالة.

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر فو الله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق

قال القاضي عياض أهل الردة ثلاث اصناف وذكر منهم طائفة عادوا لعبادة الأوثان ..

فقد أعترض الفاروق عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على الصديق لما أراد أن يقاتل أهل الردة الذين ارتدوا فهل جهلا الفاروق الملهم "أصل الدين فأعترض علي الصديق رضى الله عنه

أما قول الغلاة " الاعتراض كان على القتال لا علي التكفير قلنا لهم هذا تخرصا منكم وهروبا من الإلزام فإن عمر رضي الله عنه أفقه وأعلم من أن يظن به هذا الظن ، فكيف يتوهم أحد أن عمر يظن أو يعتقد أن لا إله إلا الله يمكن أن تعصم قائلها من القتل مع ردته عن الإسلام ؟ ، وإلا فأي فائدة في أن يقول لأبي بكر : وهم يقولون لا إله إلا الله مبيناً بذلك ومحتجاً بالعاصم لدمائهم ، وهو بلا شك لا يعني الألفاظ المجردة لهذه الكلمة ولكن يقصد كيف تقاتلهم مع إسلامهم ، فإذا كان يرى أن مانع قتالهم هو مجرد التألف والتلطف معهم – مع ردتهم – فما وجه التعليل بأنهم يقولون لا إله إلا الله ، أم تراه يحتج على أبي بكر بشيء لا يرى له تأثيراً في الحكم أصلاً ، والحق إن مثل هذا القول الردي لا يقوله من عرف دينه حق المعرفة فضلا عن أن يكون عمر رضي الله عنه ، ومن تأمل أدنى تأمل في المناظرة المذكورة تجلى له الحق من غير تكلف ولا عناء

فهنا عمر رضى الله عنه استدل استدلال واضحا على إسلام هؤلاء المرتدين والدليل أن ثبت لهم "الشهادتين وعصمة الدم والمال) وعصمة الدم لا تكون إلا للمسلم فماذا أنتم قائلون ؟!

إذا سلمنا لكم بقولكم أن عمر أعترض علي قتالهم وليس علي تكفيرهم إذاً عمر توقف في كفرهم ولم يصرح بذلك فما حكم من

يتوقف في تكفير الكافر أوشك في كفره حسب القاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) فأنتم بين ضلالتين " اختاروا أحداهما "

٢- فماحكم أبوبكر الصديق فلم يكفر عمر ؟!!

٣-وماحكم الصحابة لم يكفروا (العاذر) أبوبكر لأنه لم يكفر عمر
٤- وماحكم التابعين لم يكفروا عمر وأبو بكر والصحابة وما حكموا السلف لم يكفروا الصحابة ؟!!

٥-وما حكمكم أنتم فلم تكفروهم بدعة (التكفير بالتسلسل) هذه كلها ألزامات حسب مذهبكم واعتقادكم ببدعة التكفير بالتسلسل حتى كتب أحدكم التكفير بالتسلسل من أصل الدين ويريد أن يناقش ويباهل علي ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

أفيقوا معاشر الغلاة وقفوا حيث وقف الصحابة والسلف يرحمكم الله

قال العلامة حمد بن عتيق في من شك في كفر بعض الملحدين كابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني من القائلين بوحدة الوجود وما وجه تبديعهم وتضليلهم وتكفيرهم وما حكم هذا القائل وأنهم مسلمون فأجاب :

(مُورد هذا السؤال إما أن يكون من أبله الناس وأشدهم بلادة أو من جنس الأنعام السارحة أو يكون من أتباع ابن عربي وإخوانه من أهل وحدة الوجود وأراد التلبيس على خفافيش البصائر وأما قوله ما وجه تبديعهم وتكفيرهم فنقول قال الله تعالى :

(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى:

(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذا أنتم مسلمون)وقال:(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) في موضعين من كتابه فإذا الله كفر من قال إن الله هو المسيح ابن مريم ومن قال إن الله ثالث ثلاثة ومن اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فكيف لا يكفر من جعل جميع المخلوقات أرباباً ...

ولقد أحسن من قال من السلف إن هؤلاء أغلظ من كفر اليهود والنصارى وأما هذا الذي ألقى الشبهة إليكم فيجب تعريفه وإقامة الحجة عليه بكلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه و سلم وكلام أئمة الدين فإن اعترف بالحق وبطلان ما عليه أهل البدع من الاتحادية وغيرهم فهو المطلوب والحمد لله وإن لم يفعل وجب هجره ومفارقته إن لم يتيسر قتله وإلقاءه على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل الإسلام) . الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين وإخوانه الاتحادية الملحدين [الدرر السنية : ٣/ ٣٤٦]

فاشترط التعريف و إقامة الحجة مع أن كفرهم فاق كفر اليهود

والنصارى فإذا كان التكفير من أصل الدين فكيف يشترط إقامة الحجة ؟!

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ((بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك . (مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣٤/٣)

وهناك نصوص كثيرة لأهل العلم لا يُعد حصرها وسياتي البيان لاحقا إن شاء الله

والمتأمل في كلام أئمة الجهاد والتوحيد كابي مصعب الزرقاوي وأبو علي الأنباري وغيرهم من الفطاحل لم يثيروا هذه القضية أبداً ولم يجعلوا التكفير من أصول الدين .

قال العلامة سليمان بن عبدالله فيمن توقف أوشك أو كان جاهلاً في كفر القبوريين فإن كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله على كفرهم فإن شك بعد ذلك وتردد فأنه كافرٌ بإجماع العلماء على أن من شك في كفر الكفار

فهو كافرٌ). [أوثق عري الإيمان ضمن مجموعة التوحيد :١ / ١٦٠]

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ :(من خصص بعض المواضع بعباده أو اعتقد أن من وقف عندها سقط عنه الحج كفره لا يستريب فيه من شم رائحة الإسلام ومن شك في كفره فلا بد من إقامة الحجة عليه وبيان أن هذا كفر وشرك وأن اتخاذ هذه الأحجار مضاهاة لشعائر الله التي جعل الله الوقوف بها عبادة لله فإذا أقيمت الحجة عليه وأصر فلا شك في كفره).

[الدرر السنية : ١٠ / ٤٤٣]

فأين هذا الكلام ممن يكفر الناس بالتسلسل " من لم يكفر الكافر فهو كافر ومن لم يكفر من لم يكفر الكافر فهو كافر !!! والشاك ،والشاك الذى لم يكفر الشاك هكذا من السلسلة التي لها بداية ولكن ليس لها نهاية بسبب أصول توهموها أنها من أصل الدين ويريدوا الزام الأمة بها !!!

ولو تدبرنا كتاب ربنا جل وعلا لوجدنا أن الله سبحانه وتعالي ذكر أصول الدين ورتب عليها وعيد (ثواب وعقاب) ورتب عليه أحكام شرعية كما سبق تبينه!

فذكر حكم من أشرك به وعبد غير الله جل وعلا ،

ذكر حكم من وحده واخلص عبادته لله جل وعلا

أما التكفير فلم يرد فيه نصا صريحاً يفيد تكفير من خالف فيه !

ألا ترى كيف اختلفت أمة محمد - صل الله عليه وسلم - في مسألة التكفير وشروطها وموانعها ومراتبها ؟!

فهل اشترط الرسول - صل الله عليه وسلم ،

على كل من يريد الدخول للإسلام بعد منطوق الشهادتين أن يلتزم بالتكفير

فالتكفير معاشر الافاضل تابع وليس أصل فهناك فرق بين الأصل واللازم .

ولو كان التكفير أصل لكانت دعوة الرسل كلهم تدعوا إلى هذا الأصل ولو كان أشتهر بين الصحابة والسلف وأهل العلم

كما بينت بوضوح دعوتهم إلى أصل الدين إلى توحيد رب العالمين!

إن أحكام المرتد جعلت في كتب الفقه ولو كانت من أصل العقيدة لجعلوها في كتب العقائد

إن التكفير هو حكم شرعي من أحكام الله جل وعلا والتي واجب أنزالها على مستحقيها ولتستبين سبيل المجرمين ويتميز المؤمن عن الكافر وتُقام الحدود ويُكفر أهل الشرك والإلحاد ولا ينكر هذا الامر إلا طوائف الضلال من المرجئة والجهمية وسائر أهل البدع فأهل السنة مجمعون علي تكفير مرتكب الشرك الاكبر المخرج من الملة ومختلفون في حكم من لم يكفره لعارض شبهه أو تأويل أو جهل ،واشترطوا أقامه الحجة عليه وازالة الشبهة لتكفيره فلو كان التكفير أصل الدين ما اشترطوا أقامه الحجة وما اختلفوا في حكمه

أما الذين جعلوا تكفيره من أصل الدين من منطلق القاعدة الفقهية

" من لم يكفر الكافر فهو كافر " التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في " نواقض الإسلام " فقال الناقض : " الثالث : من لم يكفر المشركين ، أو يشك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم : كفر ".

فهذه القاعدة تتحدث عن صنفين :

الصنف الأول : الكفار والمشركون الأصليون ، كالوثنيين واليهود والنصارى ، ومن سماه الله كافرا في القرآن الكريم ، كفرعون وأبي لهب ، فهؤلاء : من لم يكفرهم فهو كافر .

الصنف الثانى :

من أعلن كفره وانتقاله من الإسلام إلى غيره كاليهودية أو النصرانية أو الإلحاد ، فحكمه حكم القسم السابق (الكافر الأصلي) .

وكذلك الذين وقعوا في ردة قطعية أجمع عليها العلماء ، تتعلق بالمعلوم من الدين بالضرورة كم أنكر القرآن وانكر البعث وسب الله جل وعلا .

وهذا ما نقل القاضي عياض رحمه الله إجماع العلماء عليه فقال :

" الإجماع على كفر من لم يكفر أحداً من النصارى واليهود ، وكل من فارق دين المسلمين ، أو وقف في تكفيرهم ، أو شك " انتهى من " الشفا " (٢٨١/٢) .

وذكر شيخ الإسلام بعض الفرق الباطنية التي ثبت كفرها يقينا فقال

" وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى ، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى ، ولهذا يقولون بالحلول تارة ، وبالاتحاد أخرى ، وبالوحدة تارة ، فإنه مذهب متناقض في نفسه ، ولهذا يلبسون على من لم يفهمه ، فهذا كله كفر ، باطناً وظاهراً ، بإجماع كل مسلم ، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ، ومعرفة دين الإسلام : فهو كافر ، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين " انتهى من " مجموع الفتاوى " (٣٦٨/٢)

فهذا يعتبر رداً للنصوص الواردة في بطلان غير عقيدة المسلمين وكفر من ليس على دين الإسلام فكفرهم ظاهر في الكتاب والسنة والإجماع .

قال القاضي عياض في كتابه" الشفا": "وَلِهَذَا نُكفِّر من لم يُكَفِّر مَنْ دَانَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمِلَلِ.. أَوْ وَقَفَ فِيهِمْ، أَوْ شَكَّ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ.. وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ وَاعْتَقَدَهُ وَاعْتَقَدَ إِبْطَالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِوَاهُ.. فَهُوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ

قال النووي في "روضة الطالبين": "مَنْ لَمْ يُكَفِّرْ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ كَالنَّصَارَى، أَوْ شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ وَاعْتَقَدَهُ".

وقال البهوتي في "كشاف القناع": "فهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

أما من ارتكب ناقضاً مختلفاً بين علماء المسلمين فيه كترك الصلاة مثلاً ، فتكفيره مسألة خلافية ولا يكفر المخالف فيها ، بل ولا يبدع ولا يفسق ، وإن كان مخطئاً .

فالأصل في هذه القاعدة ليس من جهة ملابسة الكفر قولاً أو فعلاً ،

بل من جهة رد الأخبار وتكذيبها ، فمن ترك الكافر بلا تكفير كان هذا منه تكذيباً بالأخبار الواردة في تكفيره ، فعلى هذا لا بد أن يكون الخبر الوارد في التكفير صحيحاً متفقاً عليه ومجمع عليه وليس مختلفاً فيه،

ولا بد أن يكون من ترك التكفير راداً لهذه الأخبار وليس عنده شبهة مانعة من التكفير ، فالمكفرات ليست مرتبة واحدة ، والوقوع فيها أيضاً ليس على مرتبة واحدة ،

فهذه قاعدة(قاعدة فقهية) أستنبطها أهل العلم وليست من أصل الدين فالذين جعلوها من أصول الملة وحشروها بأهوائهم لم يملكوا دليل صحيح صريح من الكتاب والسنة ولهذا تخبطوا وتناقضوا فكفروا الأمة وكفروا أئمة الجهاد وبثوا الفتنة بسبب جهلهم وسوء

الفهم بأصول الأحكام وأصول الملة المجمع عليها من كتاب الله وسنة رسوله واجماع الصحابة الكرام وسلف الامة الابرار وخرجوا عن صحيح المنقول إلى شبهات وقواعد مختلف فيها بين العلماء وجعلوها من أصول الملة فكفروا من لم يكفر الطائفة الممتنعة لشبهة عارضة له وجعلوا تكفيرهم من أصل الدين رغم أن حكم (الطائفة الممتنعة) مختلف فيه بين العلماء قديما وحديثاً

فاختلف أهل العلم في هذه المسألة، فمنهم من جعل قتال الطائفة الممتنعة بمنزلة قتال البغاة، ومنهم من جعل قتال الطائفة الممتنعة بمنزلة مانعي الزكاة، والخوارج بمنزلة المرتدين. قال شيخ الإسلام في حكاية الخلاف: (.ولهذا كان فيهم

(أي الخوارج) وجهان في مذهب أحمد وغيره: أحدهما: أنهم بغاة،

الثاني: أنهم كفار كالمرتدين، يجوز قتلهم ابتداءًا، وقتل أسيرهم، واتباع مدبرهم، ومن قدر عليه منهم استتيب كالمرتد، فإن تاب وإلا قتل: كما أن مذهبه في مانعي الزكاة إذا قاتلوا الإمام عليها هل يكفرون مع الإقرار بوجوبها؟ على روايتين")

وقال أيضاً: "

وكذلك مانعو الزكاة، فإن الصديق والصحابة ابتداؤا قتالهم، قال الصديق: والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه. وهم يقاتلون إذا امتنعوا من أداء الواجبات وإن أقروا بالوجوب، ثم تنازع الفقهاء في كفر من منعها وقاتل الإمام عليها مع إقراره بالوجوب؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد، كالرويتين عنه في تكفير الخوارج، وأما أهل البغي المجرد فلا يكفرون باتفاق أئمة الدين، فإن القرآن قد نص على إيمانهم وأخوتهم مع وجود الاقتتال والبغي والله أعلم")

فهذه الأحكام مختلف فيها بين أهل العلم حتى الصحابة اختلفوا في بعض الاحكام فكيف يتجرأ هؤلاء بشق الصف بشبهات ليس عليها دليل صريح

قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) هذه الآية الكريمة واضحة الدلالة فيمن يتبع المتشابهة ويترك المحكم من كتاب ربه جل وعلا نسأل الله جل وعلا أن يكفينا شر الزيغ

أما المسألة الأخيرة التي خاض القوم فيها هي مسألة أحكام الديار

وإطلاق تكفير الشعوب بالعموم دون تأصيل ودون تفصيل

وكما بينا أن جعل التكفير أصل الدين هو سبب انحراف القوم فأدخلوا في اصل الدين ما ليس منه وزايدوا علي الشرع وزايدوا على رسول الله وعلي الصحابة الكرام فكفروا الامة وكفروا من لم يكفرها ومن لم يكفر الشعوب واطلقوا الاحكام بالأهواء (اعتقدوا ثم استدلوا على اعتقادهم) فضلوا واضلوا

فالأمر فيه مجازفة كبيرة وتجرأ على أحكام الله وعلي عباد الله.

(٢)

(بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين)

١- من قال أن التكفير هو أصل الدين فلا تسمعوا له فالحجة في كتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم فأصل الدين لا يُأخذ من قول عالم إنما المرجع هو كتاب ربنا وسنة نبينا وهو واضح بفضل الله في كتاب الله جل وعلا .

ولا عزاء للغوغائيين والغلاة فقد كفروا الموحدين وكفروا الامة وتجرؤا علي المجاهدين بهذا الافك العظيم

أجمعت الأمة أن معنى (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله ، وهى نفى وأثبات المنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب. وتثبت الالوهية لله وحدة لا شريك الله

فالتكفير لا يدخل في معناها اللغوي ولا الشرعي وهذا ما عليه المحققون وعليه الدليل من الكتاب والسنة والاجماع إلا الغلاة يقولون النفي معناه التكفير ! وهذا عين الجهل فاللام نافية لكل جنس من الاجناس سواء بشر أو حجر أو شجر فقد كان أهل الجاهلية يعبدون الأشجار، ومن ضمن ذلك (العزى)، فقد ذكر ابن كثير في التفسير نقلاً عن ابن جرير رحمهما الله تعالى ٢٧١/٤ : أن العزى كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي مكان بين مكة والطائف وكانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولا عزى لكم، وقد هدم البناء وقطع الشجر خالد بن الوليد لما بعثه النبي إلى نخلة لأجل هذا الأمر وجعل يقول :

يا عُزَّى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

وكذلك (اللات) كانت صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف وسدنه وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش .

وقد قال الله عز وجل عن أهل المشركين من أهل الكتاب : { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون }

وهكذا كان قوم فرعون يعبدونه من دون الله عز وجل

ومعني الإله هو المألوه الذى تألهه القلوب محبة واجلال وتعظيما وعبادة فالله جل وعلا هو المستحق لكل ذلك سبحانه وتقدس .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(إنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً إذا شهد أن لا إله إلا الله ، فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحداً في تألهه ، ومحبته له وعبوديته وإنابته إليه ، وإسلامه له، ودعائه له ، والتوكل عليه ، وموالاته فيه ، ومعاداته فيه ، ومحبته ما يحب ؛ وبغضه ما يبغض)إهـ مجموع الفتاوى(١٦٤/٨

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

[ولهذا كان رأس الإسلام { شهادة أن لا إله إلا الله } ؛ وهي متضمنة عبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه ، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه ، كما قال تعالى : {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} ،

[مجموع الفتاوى : ١٥/١٠]:

وقال تعالى : {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (إن الدين عند الله الإسلام}

ومما سبق يتضح لنا أن التكفير ليس أصل بل هو من لوازم الملة وهو من الاحكام الشرعية فلا يستطيع أي شخص أن يخرج شخص من دين الله إلا بدليل وبرهان من الكتاب والسنة وليس بالتخمين إن التكفير حكم شرعي لا يثبت الا بالنص كما قال النبي صل الله عليه وسلم " إلا أن تروا كفرا بواحا لكم عندكم من الله برهان" أي دليل واضح بين من الكتاب والسنة " فلو كان التكفير من الفطرة لما قال رسول الله صل الله عليه وسلم "إلا أن تروا " فالتكفير يعرف بالدليل فإذا أرت أن تحكم على شخص بالكفر لابد أن يكون عندك دليل نص ثابت من الكتاب والسنة على كفره

لكن أصل الدين يعرف بالفطرة لذلك لا عذر فيه سواء بجهل لا تأويل "

"أصل الدين" معناه : ما لا يصح إسلام المرء إلا به ، ومتى ما لم يأت به فهو كافر ، ولا يُعذر بجهل أو تأويل أو استضعاف أو غيره ..

فلم يكن في أصل الملة نزاع بين الصحابة والسلف والخلف والأمة كلها متفقه علي أصل الدين وهو عباد الله وحده لا شريك له ونبذ عباده ما سواه

فالاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

أعلم أيها العاقل أن الأصول الثلاثة المعصومة التي يأخذ منها أصل الدين هي " القرآن والسُنة والإجماع" هي عقيدة أهل السُنة والجماعة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي تُقدم فهم الصحابة على فهم غيرهم وإجماع الصحابة على إجماع غيرهم هي الممدوحة والموعودة بالنصر والتمكين ومن خالفها كان من الضالين الهالكين ولو تزي بزي المسلمين وانتسب لأهل السُنة والسلف الصالحين ،فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات ،وبالانقياد

والقبول والسلوك العملي لا بالشعارات ، فإن المنهج العملي للمسلم وتعامله مع الآخرين هو الذى يحكم عليه ويميزه عن غيره من أهل الأهواء و البدع والافتراق فالوقوف مع النص الشرعي وقبوله دون تأويل أو تحريف منهج أهل السنة وفيه النجاة .

قال تعالي (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا إن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت

وقال تعالي (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ)

قال تعالي (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

ولو تدبرت أخي المسلم الآيات لتبين لك أن الله جل وعلا جميع الرسل بهذا الأصل "عباده الله وحده لا شريك له "

وإن تعجب فعجباً ممن يزايدون علي الدين والشرع ويحشروا التكفير في هذا الأصل العظيم توحيد البارئ جل وعلا" فحق الله علي العبيد التوحيد وليس التكفير" كما جاء في حديث معاذ" حق الله علي العبيد أن يعبدوه

ولا يشركون بها شيئاً) وحقهم على ربهم إذا فعلوا ذلك " أن لا يعذبهم " وفى رواية" يدخلهم الجنة " وهذا هو القدر المطلوب من العبد " اخلاص العبادة لله جل وعلا والانقياد والاذعان له بالطاعة واجتناب الشرك وأهله

هذا هو الأصل ثم تأتى اللازم وهو "التكفير" وهو مختلف فيه بين علماء الأمة قاطبة فمنهم من يضع الشروط والموانع ومنهم من يشترط قيام الحجة ومنهم من يطلق التكفير مباشرة ومنهم من يحترز . لكنهم اجمعوا على تكفير المشركين الذين وضح كفرهم في كتاب ربهم وكفرهم كفر أصلي " كا كفر اليهود والنصارى

والوثنيون وكا كفر فرعون وأبا لهب وكل طائفة أعلنت ردتها عن الإسلام بالقول " واختلفوا في كفر المنتسب إلى الملة وشهد الشهادتين وواظب علي شرائع الدين من صلاة وقيام وحج وصدقة ثم وقع في الشرك أو الكفر سواء كان جاهلا أو متأولا هنا وقع النزاع . ويطلق على هذا الكفر كفر طارئ أو حدث أو حادث كلها مصطلحات للعلماء لا مشاحة فيها فمنهم من أطلق تكفير من اشرك في عباده الله جل وعلا ولا عذر له لأنه بهذا الشرك نقض أصل الدين "لا إله إلا الله " أي لا معبود بحق إلا الله " وهذا الذي ندين الله به ونقرره سواء خالفنا من خالف فالحجة في كتاب الله جل وعلا . ومن العلماء من عذره بالجهل بإطلاق ومن العلماء من اشترط قيام الحجة وازاله الشبهة قبل انزال حكم التكفير عليه وكل هؤلاء يستدلون بإدله شرعية سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة او تأولوها .

فلسنا بصدد لمناقشة هذا الاختلاف في بحثنا والشاهد أن الخلاف والنزاع وارد بين علماء الأمة في مسائل التكفير لأنها ليست من أصل الدين لكن الامة متفقه على أصل الملة ولا خلاف بينهما البتة ،

فلو كان التكفير من أصل الدين لما ترك الله جل وعلا الأمة في حيره وتنازع واختلاف فيما بينهم في مسائل التكفير فهذا يضع شروط وهذا يضع موانع وهذا يطلق التكفير وذاك يمنع وهذا يصرح بكفر المعين وهذا لا يكفر المعين " ألا ترى أن العلماء والامة كلها لم يختلفوا علي الأصل ألا ترى أنه لا يوجد نزاع فيما بينهم في اصل الدين ومختلفون في التكفير.

فلو كان التكفير أصل الدين لبينه رب العالمين ولو بنص واحد صحيح صريح ولبينه رسولنا صل الله عليه وسلم للصحابة وأمر به الصحابة ولتنقله السلف والخلف بل والأمة كلها فعلاما تتنطعون معاشر الغلاة

هل قرأتم أو سمعتم أن أحد من الصحابة والسلف والتابعين وقع بينهم خلاف في توحيد الله "عبادة الله وحده لا شريك له" أو اختلفوا فيما بينهم ؟ !

فالله أرسل الرسل وانزل الكتب واقام الحجة على العالمين بهذا الاصل التعظيم

(قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)

يأتي الاعرابي يسأل رسول الله صل الله عليه وسلم يا محمد على أي شيء تدعو يقول له (إلى عباده الله وحده ولا شريك له) يقول مد يد ابايعك " ولم يقل له رسول الله صل الله عليه وسلم وتكفير قومك فلو كان أصلا ما قبل الانبياء ولا رسول الله إسلامهم إلا بتكفير أقوامهم حتى يصح إسلامهم

وهذا ما كان يطلبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من جميع الناس ، ذكيهم وغبيهم ، فطنهم وأحمقهم .. ولم يرد عنه يوماً أنه قال

اعبد الله وحده لا شريك له ، وكفّر المشركين..

فأنى لهؤلاء المبتدعة أن يجعلوا ذلك من أصل الدين ؟؟

فالقدر الكافي لثبوت اسلام العبد ودخوله في الدين هو الشهادتان وهذا هو الاسلام الحكمي الذى شرحه ابن رجب وغيره ثم بعد ذلك التكاليف الشرعية التي أمر بها العبد وهذا الاسلام الحقيقي (المنجى في الآخرة)

فإذا ات العبد بناقض بعد ذلك ينظر في هذا الناقض فالنواقض ليست مرتبة واحدة وليست برتبة واحدة وهذا معلوم عند السلف

والخلف أما أصل الملة فهو واحد ومرتبة واحدة لا يقبل الزيادة ولا النقصان ولا التبعيض فتدبر أيها العاقل (وافهم يالبيب الفرق بين الاحكام الشرعية (التكفير) .

وبين (الأصل) (التوحيد الذي هو الفطرة) .

لذلك جعل الفقهاء أحكام المرتد في كتب الفقه وليس في كتب العقائد هل عرفت الفرق الآن؟

فالمنافقين كانوا بين ظهراني المسلمين ولم يحكم أحد بكفرهم و قبل الرسول صل الله عليه وسلم والصحابة منهم الظاهر وكانوا يوالونهم ويناصرونهم على ظاهرهم ولم يلومهم الله جل وعلا جل وعلا على ذلك لأنه لا يكلف عباده مالا يطيقون !

وهذا الذي فهمه جعفر ابن ابي طالب فشرح للنجاشي دعوة رسول الله قال : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت : فعدد عليه أمور .

وهذا الذى فهمه أبي سفيان من دعوة رسول الله صل الله عليه

ففي حديثه مع هرقل سأله هرقل عن دعوة رسول الله قَالَ: مَاذَا يأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ).

فلم يقل أبى سفيان لهرقل كان يدعونا إلى تكفير أقوامنا بل قال إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك ما يقوله اقوامهم .

لما أرسل رسول الله صل الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن ليدعو قوما مشركين . قال له أول ما تدعوهم (التوحيد) شهادة "أن لا إله إلا الله " وعدد له كل شيء من شرائع الإسلام وما ترك شيء حتى

ذروة سنام الاسلام والصدقة ودعوة المظلوم " ولم يذكر له له الدعوة إلى تكفير أقوامهم " حتى الصدقة ذكرها والعاقل يفهم .

(فلماذا الغلاة يزايدون على رسول الله ويستنبطون أمورا بعقولهم الفاسدة ويريدون أن يلزموا به الأمة ويجعلوها أصل الملة وأصل الدين ومن ثم يكفرون الأمة ويخيفون مردييهم من الولوج في الكفر والنار إذا لم يعتقدوا ما يعتقدون ويقولون ما يقولون فهم الموحدون المجددون وغيرهم جهمية مشركون . ساء ما تحكمون معاشر الخوارج المعتزلة الجدد تباً لكم لأفكاركم العقيمة .

فالله المستعان

(بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين)

بينا فيما سبق بما لا يدع للشك أن أصل الدين هو أفراد الله بالتوحيد ويتضمن اخلاص العبادة لله وحده واجتناب عبادة ما سواه وخلع الأنداد ونبذ الأوثان

بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الامة ولا خلاف ولا نزاع بين الامة قاطبة علي هذا الأصل ولا حاجة لنا للإعادة

وبينا بما لا يدع للشك أن أيضا إن التكفير حكم شرعي يعرف بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع وهو من مسائل الأحكام المجمع عليها بين سلف الامة وليس علي مرتبة واحده والخلاف القائم والنزاع بين الأمة في مسائل التكفير قائم إلى يومنا هذا فالأمر واضح ولا يحتاج مكابرة ولا كذب علي الخلق.

قال ابن الوزير اليماني :

((إن التكفير سمعيٌ محضٌ ، لا مدخل للعقل فيه ، وأن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعياً قطعياً ولا نزاع في ذلك) العواصم من القواصم ١٧٨/٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:[الكفرُ والفسقُ أحكامٌ شرعيةٌ، ليس ذلك من الأحكام التي يستقلُّ بها العقلُ ، فالكافر من جعله اللهُ ورسولهُ كافراً، والفاسق من جعله اللهُ ورسولهُ فاسقاً. كما أن المؤمن والمسلم من جعله اللهُ ورسولهُ مؤمناً ومسلماً، والعدل من جعله اللهُ ورسولهُ عدْلاً، ومعصومُ الدم من جعله اللهُ ورسولهُ معصومَ الدم ،والسعيدُ في الآخرة من أخبر اللهُ ورسولهُ أنه سعيدٌ في الآخرة ،والشقي فيها من أخبر اللهُ ورسولهُ أنه شقيٌ فيها،

والواجبُ من الصلاة والصيام والصدقة والحج ما أوجبهُ اللهُ ورسولهُ، والمستحقون لميراث الميت من جعلهم اللهُ ورسولهُ وارثين، والذي يُقتل حداً أو قصاصاً من جعله اللهُ ورسولهُ مباحَ الدم بذلك، والمستحقُ للفيء والخُمُس من جعله اللهُ ورسولهُ مستحقاً لذلك، والمستحقُ للموالاة والمعاداة من جعله اللهُ ورسولهُ مستحقاً للموالاة والمعاداة، والحلالُ ما أحله اللهُ ورسولهُ، والحرامُ ما حرَّمهُ اللهُ ورسولهُ، والدِّينُ ما شرعه اللهُ ورسولهُ، فهذه المسائل كلها ثابتةٌ بالشرع] مجموع الفتاوى ٢١٣/١٩

أن الذين قالوا إن التكفير من أصل الدين أنهم مبتدعة ولا يملكون دليل صحيح صريح لا من الكتاب ولا السنة إلا شبهات وتفسيرات اعتقدوا أن التكفير اصل الدين وهو فطرة الله ثم استدلوا وركبوا على ذلك بأهوائهم فأصبح النص الشرعي أسير لأهوائهم وليس حاكما علي أدلتهم أو أقوالهم . والذى أوصل هؤلاء إلى هذه المسألة هو غلوهم فأدخلوا في أصل الدين ما ليس منه وهذا مذهب الخوارج ويقابله منهج المرجئة أخرجوا من الدين الأعمال "

قال الإمام ابن القيم قال:

" قال بعض السلف "ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلوّ. ولا يبالى بأيهما ظفر". .

جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أحدهم : يا نبي الله ! إنا حي من ربيعة . وبيننا وبينك كفار مضر . ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم ، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، إذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « آمركم بأربع . وأنهاكم عن أربع . اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وأقيموا الصلاة . وآتوا الزكاة .

وصوموا رمضان . وأعطوا الخمس من الغنائم . وأنهاكم عن أربع . عن الدباء . والحنتم . والمزفت والنقير » .

هذا النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب من الوفود القادمة إليه أن يقولوا لا إله إلا الله .. ثم ذكر لهم ما دون أصل الإسلام من صلاة وزكاة وما إلى ذلك .. فهل بيان الصلاة والزكاة أهم من أصل الدين (إن كان تكفير المشركين من أصل الدين)

فإن علمنا أن الدلالة اللغوية لكلمة (لا إله إلا الله) هي : لا معبود بحق إلا الله ..

ولا دلالة لغوية غيرها . فمعنى لا إله إلا الله الذى عليه الاجماع والأدلة هي أفراد الله بالتوحيد وليس أفراد الله بالتكفير! أين عقولكم

فعليه يكون تكفير المشركين من مقتضيات هذه الكلمة ولوازمها ، وليست من أصلها ..

الكفر بالطاغوت وفهم الغلاة ،

لم يفرق الغلاة بين الكفر بالطاغوت ومعناه الشرعي وبين تكفير الطاغوت كا حكم شرعي من واجبات الكفر بالطاغوت فجعلوا الكفر بالطاغوت كتلة واحدة وهذا هو الشطط الذي حدث عند الخوارج المعتزلة كما حدث عند اسلافهم الأوائل من الخوارج جعلوا الإيمان شعبة واحدة إذا زال بعضة زال كله وجهلوا أن الكفر بالطاغوت له أصل وفرع، ويقع مجملا ومفصلا ، تماما كما يقال في الإيمان

فمن حقق الكفر بالطاغوت الذي هو البراءة منه وجحد عبادته واجتنابه فقد حقق أصل الكفر بالطاغوت وكفر به على وجه الإجمال

وأما من رام الرد على الخوارج بنفي كلي لوجود علاقة بين الكفر بالطاغوت وبين تكفيره، فقد سار على خطى المرجئة لما ردوا الباطل بباطل آخر،

والمرجئة اخرجوا العمل من الإيمان فرارا من غلو الخوارج، تشابهت أقوالهم

ولو اختلفت افعالهم .

فكل الآيات التي جاءت في الكفر بالطاغوت معناها اجتناب عبادته وجحدها والبراءة منها واعتزالها ، والقرآن يفسر بعضه بعضا

قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى :

"فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن القرآن؛ فما أُجمِل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر فان أعياك ذلك فعليك السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"

وإليك تفسير القرآن لمعني الكفر بالطاغوت حتى تتأكد أن الكفر بالطاغوت غير تكفيره

قال تعالي:

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ)

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) فمن استجاب لدعوة الحق فكفر بالطاغوت وآمن بالله وحده فقد استمسك بحبل نجاته في الأولى والآخرة، قال سبحانه : { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم * الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }

{فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تـهوي به الريح في مكان سحيق}ا

{وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنًا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام)

فدعوة الرسل الكفر بالطاغوت ونداء لله للبشر أن يجتنبوا عبادة الطاغوت.

فهل التكفير مر من هنا !!

ومما سبق يتبين لك أن معنى الكفر بالطاغوت هو جحد عبادته واجتنابها وليس معناه تكفيره . فالكفر معناه الستر والتغطية وفى لغة العرب الجحد والانكار .

فالآية" فمن يكفر بالطاغوت " ولم يقل فمن يكفّر الطاغوت

قال تعالى (بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) يكفرون أي يجحدون وينكرون

(ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ)

فهل معناها ان يُكفِّر بعضهم بعضا يوم القيامة ؟!!

أي يتبرأ بعضكم من بعض تفسير القرطبي"

أما من السنة " عَنْ النبي - صلى الله عليه وسلم - إنه قال:" مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى الله - عز وجل"

فالطاغوت قد يكون بشر أو حجر أو شجر أو صنم كما قال أحد الأفاضل فحرف ال "ما " شمولي لكل شيء عاقل وغيره فالصنم يعبد من دون الله فهل الكفر به يكون بتكفيره ؟!

لا مطلقا لأنه جماد سواء حجر أو صنم أو شجر فماذا يفيد تكفير الجماد ؟!!

بل الكفر بعبادته ، فمن لم يكفر بعبادته كفر حتى وان لم يعبده . وبالمثال يتضح الكلام السابق رجل كفر الطاغوت وقال بتكفيره لكنه لو يتبرأ من عبادته ولم يجحدها فهل ينفعه هذا التكفير؟! لا ينفعه قولا واحدا لأنه لم يحقق الاصل البراءة منه وجحد عبادته واجتنابه .

إذاً يكون معنى الكفر بالطاغوت ليس هو تكفيره وهذا ظاهر كما بينا والعلماء والمفسرون علي هذا وكل من عرف الطاغوت وصفة الكفر به جعلوا الأصل جحد عبادته واجتنابها وتكفيره فجعلوا التكفير من اللوازم وليست من الأصل ولو كان هو الأصل لقدموه قبل جحدها واجتنابه فصفة جحد العبادة واجتنابه صفة داخله في الاصل والتكفير صفة لازمه خارجة عن الأصل لذلك قالوا وتكفيره . فاللازم كما قال العلماء اما أن يكون لازم داخل في الأصل لا ينفك عنه (الجحد والإنكار)

أو يكون لازم خارج عنه ينفك (التكفير)

فإذا أرتم أن تأخذوا بظاهر كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب دون تفصيل

إذاً نلزمكم بكلام الشيخ سليمان بن سمحان رحمه الله قال:

"أن صفة اجتناب الطاغوت تكون بتقبيحه باللسان وقتاله وعدم السكن في ارضه ، وما دام انكم تأخذون بالإطلاق دون تفصيل فيجب عليكم ان تقبلوا كلام الشيخ على ما هو ظاهر عندكم فيكون

المتوقف في قتال الطاغوت او سبّه كافرا لم يحقق صفة الكفر به " فإما أنتم أرض الطاغوت ولم تجرؤا علي تكفيره علنا وتتخفون خلف ألقاب ولا تجاهدون ولا تقاتلون خاب سعيكم !

"وإليك كلام بعض المفسرين"

قال الإمام بن كثير رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى :

(فمن يكفر بالطاغوت)

أي : من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي : فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم.

فسبحان الله هل أشترط هنا التكفير هل قال معنى (يكفر بالطاغوت) هو تكفيره بل وضح كما قلنا أن من أتى بهذا الاصل جحد عبادته وخلع الانداد وأفرد الله بالتوحيد وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) والعروة الوثقى هي "لا إله إلا الله)

٢- أمام المفسرين "ابن جرير الطبري"

بعد أن ساق معنى الطاغوت والفاظه وأصله قال أبو جعفر : والصواب من القول عندي في " الطاغوت " أنه كل ذي طغيان على الله ، فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، وإنسانا كان ذلك المعبود ، أو شيطانا ، أو وثنا ، أو صنما ، أو كائنا ما كان من شيء .

قال رحمه الله: (فمن يكفر بالطاغوت) قال:

فتأويل الكلام إذا : فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله ، فيكفر به " ويؤمن بالله " يقول : ويصدق بالله أنه إلهه وربه ومعبوده " فقد استمسك بالعروة الوثقى " يقول : فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه.

٣- قال الإمام البيضاوي في تأويله لقوله تعالي :

" فمن يكفر بالطاغوت) بالشيطان، أو الأصنام، أو كل ما عبد من دون الله، أو صد عن عبادة الله تعالى. فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه. ويؤمن باوهو كل ما تكون عبادته والإيمان به سببا للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق يعبد ، ورئيس يقلد ، وهوى يتبع ، ويؤمن بالله فلا يعبد إلا إياه ، ولا يرجو غيره ولا يخشى [ص: ٣٢] سواه ، يرجوه ويخشاه لذاته ، وبمناسبة من الأسباب والسنن في عباده فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام له الله بالتوحيد وتصديق الرسل

وكلام الطبري وبن كثير رحمهما الله اوضح بكثير بحمد الله ..

هذا وقد فسَّر العلماءُ نفس اللفظ بنفس المعنى في قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام وقومِه" كفرنا بكم" فلم يقل احد من المفسِّرين ان المعنى كفَّرناكم كما زعم اهل الغلو والهوي فكل العلماء لم يقل احد منهم أن معنى الكفر بالطاغوت هو تكفيره بل فرقوا بين الكفر بالطاغوت تكفير الطاغوت فالكفر بالطاغوت أصل والتكفير لازم من اللوازم وحكم شرعي وهو نفس سورة الممتحنة تماما إلا أن سورة الممتحنة زاد فيها البراءة من المشركين والعداوة والبغضاء وبإذن الله سنأتي عليها ونبين ضلال القوم وتلاعبهم بتأويل معانى الآيات حسب ما يعتقدون .

فإذا قلتم أن تكفير الطاغوت من أصل الدين سنقول لكم وهل اسلمة الموحدين من أصل الدين ؟!! إذا قلتم نعم أسلمة الموحدين ، قلنا لكم إذاً كل من أخطأ في تكفير المسلم فهو مشرك والأدلة كثيرة على من كفر مسلما يكفر بل هي أوضح من تكفير المشرك .
ويلزمكم تكفير الصحابة والسلف وكل من أخطأ في تكفير مسلم وفقد كفر عمر حاطب رضى الله عنه ووصف عمر حاطباً -رضي الله عنهما- بأوصاف ثلاثة يكفي الواحدُ منها للقول بأنه كفَّره،

فوصفه بأنه: منافق، كفر، خان الله ورسوله؛ وعمر -رضي الله عنه- وإن كان قد أخطأ في تكفير حاطب فما حكم حاطب عندكم

وأسيد بن خضير الذي كفَّر سعدَ بن عبادة رضى الله عنهما .

فما حكم عمر وأسيد بن خضير رضى الله عنهما ؟!!

والذين كفَّروا مالك بن الدخشن نعتا للجميع بالنفاق ومع ذا لم يقل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرتم بذلك ،

فقد كفر الإمام البخاري الخوارج وألحقهم بالملحدين والأمة كلها متفقه أن الخوارج مسلمون علي ضلال .

فما حكم البخاري وماحكم من كفروا مالك بن الدخشن ؟!

إذا قلت لا يكفروا فقد تناقضتم ووقعتم في الضلال

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فَإِنَّ الْأُمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِمْ وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَد وَفِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا نِزَاعٌ فِي كُفْرِهِمْ .

وَلِهَذَا كَانَ فِيهِمْ وَجْهَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد(الفتاوى (٥١٨/٢٨)

قال الخطابي رحمه الله تعالى : أجمع علماء المسلمين ، على أن الخوارج ، مع ضلالتهم : فرقة من فرق المسلمين. وأجازوا مناكحتهم ، وأكل ذبائحهم ، وأنهم لا يكفرون ، ما داموا متمسكين بأصل الإسلام. أنتهى

فأنتم معاشر الغلاة بين ضلالتين أما تقروا بان أسلمة الموحدين من أصل الدين لا يجوز فيها الخطأ ولا التأويل ولا يعذر في أصل الدين وتكفروا الصحابة والسلف وكل من أخطأ وتأول في تكفير مسلما أو تعترفوا بضلالكم وغلوكم .

لم نعلم خلافا بين العلماء ان من كفَّر مسلما متأولا ، لايكفر فقد كفَّر عمرُ حاطبا رضي الله عنهما متأولاً وكفَّر معاذ رضي الله عنه من تجوَّز في الصلاة خلفه واصفا اياه بالنفاق وكذا الحال مع اسيد بن خضير الذي كفَّر سعدَ بن عبادة والذين كفَّروا مالك بن الدخشن نعتا للجميع بالنفاق .

يتبع بإذن الله

الله المستعان

تابع (بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين)"

"التوحيد بين جفاء المرجئة وعقوق الغلاة "

أحتج الغلاة بسورة الكافرون ، وقالوا أن الآية

دليل على التكفير وبهذا يكون التكفير من اصل الدين !

هكذا زعم القوم المساكين في عقولهم .

وتركوا التوحيد الذي تحمله السورة بكامل معانيه

وغاية ما يقال في هذه الآية أنها من عموم الشريعة وهو أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينعتهم بوصفهم فهم كفار !

كما قال تعالي

(قل يا أيها الكافرون)

(قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا)

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)

كلها داخله في عموم الشريعة

فالآية واضحة هي براءة من دين المشركين وهذا هو الاصل فتركوا الاصل وذهبوا للتكفير ولا دليل على انه من اصل الدين .

وإليكم كلام العلماء:

قال الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) في معرض وصفه لسورة الكافرون : (وأما المسألة السادسة : وهي

اشتمال هذه السورة على النفي المحض فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة فإنها سورة براءة من الشرك كما جاء فيوصفها أنها براءة من الشرك ، فمقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة ، هذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحاً فقوله : [لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ] (الكافرون: ٢) ؛براءة محضة ، [وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ] (الكافرون: ٣) ؛ إثبات أن له معبوداً يعبده وأنتم بريئون من عبادته ، فتضمنت النفي والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء :

[إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي] (الزخرف: ٢٦-٢٧) ، وطابقت قول الفتية الموحدين : [وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ] (الكهف:١٦) ؛ فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله ،ولهذا كان النبي يقرنها بسورة قل هو الله أحد في سنة الفجر وسنة المغرب ، فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص ، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح إلا بهما ، وهما :

توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد وأنه إله أحد صمد لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل ، ولم يكن له كفواً أحد فيكون له نظير ، ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها ،فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال ، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلاً وفرعاً ونظيراً ، فهذا توحيد العلم والاعتقاد .

والثاني: توحيد القصد والإرادة : وهو أن لا يعبد إلا إياه ، فلا يشرك به في عبادته سواه ،بل يكون وحده هو المعبود ، وسورة قل يا أيها الكافرون مشتملة على هذا التوحيد فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له) (بدائع الفوائد (٢٤٢/١-٢٤٤) .)

... إلى أن قال : (وأما المسألة التاسعة وهي : ما الفائدة في قوله : [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] (الكافرون: ٦) ، وهل أفاد هذا معنى زائداً

على ما تقدم ؟فيقال : في ذلك من الحكمة والله أعلم أن النفي الأول أفاد البراءة وأنه لا يتصور منه ، ولا ينبغي له أن يعبد معبوديهم ، وهم أيضاً لا يكونون عابدين لمعبوده ،وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضاً فقال له لا تدخل في حدي ولا أدخل في حدك ، لك أرضك ولي أرضي ، فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أنا اقتسمنا خطتنا بيننا ، فأصابنا التوحيد والإيمان فهو نصيبنا وقسمنا الذي نختص به لاتشركونا فيه ، وأصابكم الشرك بالله والكفر به فهو نصيبكم وقسمكم الذي تختصمون به لا نشرككم به ، فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه ، وهذه المعاني ونحوها إذا تجلت للقلوب رافلة في حللها فإنها تسبي القلوب وتأخذ بمجامعها ومن لم يصادف من قلبه حياة فهي خود تزف إلى ضرير مقعد ، فالحمد لله على مواهبه التي لا تنتهي ونسأله إتمام نعمته) (بدائع الفوائد (١/٢٤٥-٢٤٦) .) .

... إلى أن قال : (وأما المسألة الحادية عشرة : وهي أن هذا الإخبار بأن لهم دينهم وله دينه هل هو إقرار فيكون منسوخا أو مخصوصا أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص؟

فهذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة وقد غلط في السورة خلائق وظنوا أنها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم ، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب ، وكلا القولين غلط محض فلا نسخ في السورة ولا تخصيص بل هي محكمة عمومها نص محفوظ ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها ، فإن أحكام التوحيد التي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه . وهذه السورة أخلصت التوحيد ، ولهذا تسمى سورة

الإخلاص كما تقدم ،ومنشأ الغلط ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على دينهم ، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف فقالوا : منسوخ .

وقالت طائفة : زال عن بعض الكفار وهم من لا كتاب لهم ، فقالوا هذا مخصوص ، ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم أو إقراراً على دينهم أبداً ، بل لم يزل رسول الله في أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد على الإنكار عليهم وعيب دينهم وتقبيحه والنهي عنه والتهديد والوعيد كل وقت وفي كل ناد .

وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم وعيب دينهم ويتركونه وشأنه فأبى إلا مضياً على الإنكار عليهم وعيب دينهم فكيف يقال إن الآية اقتضت تقريره لهم معاذ الله من هذا الزعم الباطل ، وإنما الآية اقتضت البراءة المحضة كما تقدم ، وأن ما هم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبداً ، فإنه دين باطل فهو مختص بكم ، لا نشرككم فيه ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق ، فهذا غاية البراءة ، والتنصل من موافقتهم في دينهم ،

فأين الإقرار حتى يدعي النسخ أو التخصيص أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال : [لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ] (الكافرون: ٦) ؟! بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يظهر الله منهم عباده وبلاده)(بدائع الفوائد (١/٢٤٧-٢٤٨) .) .

تفسير الطبري

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة ، على أن يعبد نبي الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم سنة ، فأنزل الله

معرفه جوابهم في ذلك : (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة ، على أن يعبدوا إلهك سنة (يا أيها الكافرون) بالله (لا أعبد ما تعبدون) من الآلهة والأوثان الآن (ولا أنتم عابدون ما أعبد) الآن

(ولا أنا عابد) فيما أستقبل

(ما عبدتم) فيما مضى (ولا أنتم عابدون) فيما تستقبلون أبدا (ما أعبد) أنا الآن ، وفيما أستقبل . وإنما قيل ذلك كذلك ؛ لأن الخطاب من الله كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أشخاص بأعيانهم من المشركين ، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا ، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه ، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه ، وحدثوا به أنفسهم ، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم ، في وقت من الأوقات ، وآيس نبي الله صلى الله عليه وسلم من الطمع في إيمانهم ، ومن أن يفلحوا أبدا ، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا ، إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف ، وهلك بعض قبل ذلك كافرا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت به الآثار

تفسير الماوردي..

قل يا أيها الكافرون الآيات ، ذكر محمد بن إسحاق أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد . ونعبد ما تعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما بيديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى قل يا أيها الكافرون فصار حرف الأمر في هذه السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين متلوا ، لأنها نزلت جوابا ، عنى بالكافرين

قوما معينين ، لا جميع الكافرين ، لأن منهم من آمن ، فعبد الله ، ومنهم من مات أو قتل على كفره ، وهم المخاطبون بهذا القول فمنهم المذكورون . لا أعبد ما تعبدون يعني من الأوثان ..

تفسير الألوسي..

بسم الله الرحمن الرحيم.. قل يا أيها الكافرون.. قال أجلة المفسرين: المراد بهم كفرة من قريش مخصوصون..

قد علم الله تعالى أنهم لا يتأتى منهم الإيمان أبدا..

هذا كلام العلماء الثقات وليس كلام الغلاة السقاط

قرر ابن القيم ما قررناه وهو اصل الدين ولك أن تتخيل كلام ابن القيم لم يذكر التكفير الذى زعمه القوم . وطاروا به فرحا وشرور .

فلماذا تجاهلتم اصل الدين وقد ذكره الله في الآية ثلاث مرات (لا أعبد مالا تعبدون)!

الله المستعان

(٥)

(بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين)

استدل الغلاة بآية الممتحنة (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)

وطاروا بها وتناقلوها في كل مواقعهم وقالوا هذه الآية صريحة الدلالة

علي تكفير المشركين وأنها أصل الدين وهو ملة إبراهيم !

فالآية لا يوجد فيها دلالة علي التكفير بل هي واضحة الدلالة علي البراءة من الشرك ومن المشركين واظهار العداوة والبغضاء .

إن ملة إبراهيم عليه الإسلام هي التوحيد والبراءة من المشرك والمشركين وإظهار العداوة والبغضاء لهم وهذا معنى الآية عند جميع المفسرين ولا يوجد فيها دلالة على التكفير .

قال الغلاة وبئسا ما قالوا قالوا "معنى كفرنا بكم "(أي كفرناكم) (أكفرناكم) فلما ابطلنا لهم استدلالهم وبينا لهم فساد فهمهم لمعنى(كفرنا بكم) هربوا وجنحوا للقول بأن الباء متعديه للتكفير !! خاب سعيكم معاشر الجهلة تجروا الأمة إلى الكفر بالجر والمجرور ، وبباء الجر تكفرون أمة محمد صل الله عليه وسلم علمائها ومجاهديها بالمتشابهات من الاقوال وتتركون الاصول المحكمات الواضحات لا أباً لا أبيكم

وقبل أن نرد علي كلام الغلاة فلابد أن نهدم لهم قواعدهم وننسفها نسفا كما نسفنا القواعد السابقة !

أولاً هذه الآية المباركة نزلت في المدينة بعد صلح الحديبية وجمهور المفسرين على ذلك !

ومن المقرر في الشريعة أن أول ما يخاطب به العباد هو "أصل الدين" ليدخلوا في دين الله جل وعلا ويصح إسلامهم وتوحيدهم .

ونسأل الغلاة هل أصل الدين ظل ثلاثة عشرة عام في مكة، ولم يكتمل حتى نزلت هذه الآية لتكمله ؟!!! حاشا وكلا .

فأصل الدين كامل وواضح قبل نزول هذه الآية والأنبياء والرسل دعوة الناس إلى توحيد ربهم جل وعلا واخلاص العبادة له ونبذ الأوثان وخلع الانداد ، وفهمه الصحابة الكرام في مكة وعملوا به واستقاموا عليه قبل نزول آية الممتحنة لكن الجهلة لا يعلمون ولا يعقلون .

إذاً لا يُستدل بها منفرده دون غيرها حتى تنجلي الصورة وتتضح الأدلة

قال تعالى :

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)

هذه الآية واضحة الدلالة علي التي

١- البراءة من المشركين والشرك فقدم البراءة من العابدين على المعبود لربما يكون هذا المعبود جماد غير عاقل حجر أو شجر أو صنم

٢- والكفر بهم = البراءة منهم ومما يعبدون

٣- اظهار العداوة والبغضاء للمشركين ، وتسقط مع عدم القدرة كما قال العلامة عبدالرحمن بن حسن وغيره من العلماء

واستدلوا بقوله تعالي :

(إلا أن تتقوا منهم تقاة) وهذه قاصمة الظهر للغلاة فإن إظهار العداوة للمشركين تسقط مع عدم القدرة ؟!!

فكيف يستقيم هذا الأمر الآن عندكم ؟!

إذا قلتم نعم تسقط إظهار العداوة للمشركين مع عدم القدرة قلنا لكم إذا الآية ليست كلها أصل الملة ويسقط استدلالكم

إذا قلتم نعم ليست كلها أصل الدين لكن يستثنى منها إظهار العداوة قلنا لكم أصل الدين لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يقبل الزيادة ولا النقصان وهدمنا صرحكم فأنتم في مأزق فالأفضل لكم أن تقولوا أنها كلها من واجبات الدين ومن لوازم الملة وتخرجوا من المأزق

"القاصمة الأخرى "

وهو استغفار ابراهيم الأسوة عليه السلام لأبيه المشرك .

هل يجوز الاستغفار لمشرك ؟ وحكم من يستغفر للمشركين ؟!

وهل استغفار إبراهيم لأبيه قبل نص التحريم أم بعده؟ ؟!

فأنتم بين أمرين إما أن تقولون قبل نص التحريم وبهذا تهدموا أصولكم أن التكفير من الفطرة ويكون استغفار ابراهيم قبل التحريم

فإذا قلتم غير ذلك فقد اتهمتم أمام الجنفاء وبهذا تكفروا .

من ثم نلاحقكم بالسائل الأخر والضربة القاصمة

قال تعالي (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم).

لقد طلب النبي صل الله عليه وسلم من ربه جل وعلا أن يستغفر لأمه فلم يأذن له ربه .

فهل طلب الرسول صل الله عليه وسلم من ربه محرما ؟!

إذا قلتم نعم فقد تزندقتم وإن قلتم لا ! فالحمد لله بان فسادكم وهدمنا أصولكم الفاسدة فأنتم بين ضلالتين إما أن تكفروا الصحابة والسلف والانبياء وهذه زندقة وإما تكفروا انفسكم وتستريح الأمة من ضلالكم . أو تتوبوا كما تاب خيرة الشباب وعادوا لمنهج الحق

فهذا الطريق خطير وستعيشون في حيره وشك وانفصام بين ما تعتقدون وبين الأدلة الشرعية وبين الواقع الذي تعيشون فيه فاستقيموا يرحمكم الله ولتعلموا أن هناك اطلاقات لعلماء نجد

لو طبقناها على كلامكم ومنهجكم لكفرناكم ،

فكما لم يفرق البغاة بين الكفر بالطاغوت وتكفير الطاغوت

كذلك لم يفرق الغلاة بين البراءة من المشركين و بين تكفير المشركين فجعلوا البراءة منهم معناها = تكفيرهم وهذا عين الجهل فالبراءة تختلف عن التكفير لغة وشرعا

وكذلك لم يفرق الغلاة بين أصل الدين وبين لوازم أصل الدين

كذلك لم يفرق الغلاة بين ما أطلقوه أئمة الدعوة وبين ما قيدوه والقاعدة عند أهل السنة يحمل المطلق على المقيد "

وكذلك لم يفرق الغلاة بين التكفير كا حكم شرعي من أحكام الله يعرف بالدليل الشرعي وبالإجماع وبين أصل الدين الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها وهو أفراده بالتوحيد وهو الميثاق والفطرة ، فمتى سيعقل هؤلاء البغاة ومتى سيتوبون من بدعتهم والحكم على الامة بالكفر الاصلي

وبهذه الشبهات فروا من ساحات القتال إلى ساحات التكفير وقالوا كيف ندافع عن أمة كافرة فمن دافع عنها كان كافرا وتركوها فريسة لليهود والنصارى والصليبيين والرافضة يستبيحون الدماء والاعراض ، وليتهم كفوا عنها وعن ما يدافع عنها بل كفروهم وزندقوهم وحذروا منهم واخافوا الصغار ومن لا علم له من الوقوف معهم ضد العدو الصائل بحجة أنه سيكون كافرا وسيموت كافرا إذا دخل معهم ساحات القتال أو دافع عن أمته لأنه أمة الكفر وهكذا زعم الاوغاد .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فالبراءة من المشركين ليس معناها تكفير المشركين لكن الغلاة لا يعقلون .

-(لاحظ نحن نقول عنهم مشركين) حتى لا يخدعوكم ويقولوا لكم نحن نُأسلم المشركين .

فقالوا أن من لم يتبرأ من المشركين مشرك لذا من لم يتبرأ منه ويكفره ومن لم يكفره يكفر سلسلة تكفير(العاذر) ويدخل في قوله تعالى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }الممتحنة٤

وسبب دخول هذه الشبهة على بعض الغلاة أنهم يخلطون بين الحقائق

ولا يفرقون بين مدلولات ألفاظ الكتاب و السنة و بين مقتضياتها و لوازمها و من تتبع كتاب الله و سنة النبي صلى الله عليه و سلم يجزم أنه هناك فرق بين مدلول الألفاظ و بين ما يلزمه و ما يقتضيه و ما يوجبه

وأن حكم الموجب والمقتضى غير حكم المدلول فإن الله تعالى كما أنه خلق الخلق و أفعالهم فإنه جعل لهذه المخلوقات مراتب و أحكام تناسب هذه المخلوقات قال تعالى {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الأعراف

وتختلف الأحكام و لا شك باختلاف أفعال المخلوقين و أقوالهم .

ومن الفروقات في كتاب الله التي يمكن بمعرفتها نستطيع كشف الشبهة في اعتقاد السلسلة أن هناك فرق بين مدلول لا إله إلا الله و بين ما تقتضيه لا إله إلا الله و توجبه و أكثر من بين هذه المسألة علماء الدعوة النجدية فمن شدة فقههم لهذه المسألة فإنه فرقوا بين ما تدل عليه لا إله إلا الله و بن مقتضاها و موجبها و إذا علمنا الفرق بين المدلول نستطيع بعدها أن نعرف الفرق بين حكم من ترك المدلول و بين حكم من ترك المقتضى

وكل هذا لا بد الرجوع فيه إلى الكتاب و السنة .

فآية الممتحنة التي يستدل بها الغلاة لا يوجد فيها تكفير كما توهم الغلاة هي دعوة واضحة للبراءة من المشركين ومما يعبدون من دون الله والتصريح بعداوتهم

ومعنى كفرنا بكم أي جحدنا ما أنتم عليه من عبادة غير الله وتبرئنا منكم ومن عبادتكم الباطلة هذا معنى كفرنا بكم لا تحتاج لما قاله الغلاة من التلاعب بدين الله عن طريق التفسير الضلالي لمعنى "كفر نابكم " فالله جل وعلا لا يكلف خلقه مالا يطيقون للبحث عن طريق التنقيب لمعرفة أصل دينهم ومنهم الأعجمي والعربي والعامي والذكي والغبي والعقول تتفاوت فحاشا لله جل وعلا أن يحاسبهم علي شيء مبهم غير واضح وخاصة اصل دينهم الذى يتعبدون به لربهم جل وعلا

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

وحتى نظهر تفسيركم الضلالي لقوله (كفرنا بكم) وهذه كتب التفاسير

وتعمدت أن أبدأ لكم بتفسير ابن عاشور "النحوي " حتى أخرسكم

قال ابن عاشور في تفسيره

وجملة (كفرنا بكم) وما عطف عليها بيان لمعنى جملة إنا برآء . وضمير (بكم) عائد إلى مجموع المخاطبين من قومهم مع ما يعبدونه من دون الله ، ويفسر الكفر بما يناسب المعطوف ، أي كفرنا بجميعكم فكفرهم بالقوم غير كفرهم بما يعبده قومهم . . أنتهي

وقرأ أبو جعفر بضم الباء وهمزة بعد ألف (ومما تعبدون من دون الله) وهي الأصنام كفرنا بكم أي : بما آمنتم به من الأوثان أو بدينكم أو بأفعالكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا أي : هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك ، فإذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة والبغضاء محبة.

تفسير الطبري..

القول في تأويل قوله تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة . يقول : قدوة

حسنة في إبراهيم خليل الرحمن ، تقتدون به ، والذين معه من أنبياء الله .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله عز وجل : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) قال : الذين معه الأنبياء

وقوله : (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله) يقول : حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله ، وعبدوا الطاغوت : أيها القوم إنا برآء منكم ، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد .

وقوله : (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة : كفرنا بكم ، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقا ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا على كفركم بالله ، وعبادتكم ما سواه ، ولا صلح بيننا ولا هوادة ، حتى تؤمنوا بالله وحده ، يقول : حتى تصدقوا بالله وحده ، فتوحدوه ، وتفردوه بالعبادة .

تفسير القرطبي..

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم لما نهى عز وجل عن موالاة الكفار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، وأن من سيرته التبرؤ من الكفار ؛ أي فاقتدوا به وأتموا ؛ إلا في استغفاره لأبيه . والإسوة والأسوة ما يتأسى به ، مثل القدوة والقدوة . ويقال : هو إسوتك ؛ أي مثلك وأنت مثله . وقرأ عاصم أسوة بضم الهمزة لغتان .

والذين معه يعني أصحاب إبراهيم من المؤمنين . وقال ابن زيد : هم الأنبياء

إذ قالوا لقومهم الكفار .

إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله أي الأصنام . وبرآء جمع بريء ؛ مثل شريك وشركاء ، وظريف وظرفاء . وقراءة العامة على وزن فعلاء..

" كفرنا بكم " أي بما آمنتم به من الأوثان . وقيل : أي بأفعالكم وكذبناها وأنكرنا أن تكونوا على حق .

وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا أي هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم .

حتى تؤمنوا بالله وحده فحينئذ تنقلب المعاداة موالاة..

تفسير الماوردي..

قد كانت لكم أسوة حسنة ذكر الكلبي والفراء أنه أراد حاطب بن أبي بلتعة، وفيها وجهان: [ص: ٥١٨] أحدهما: سنة حسنة، قاله الكلبي .

الثاني: عبرة حسنة، قاله ابن قتيبة. في إبراهيم والذين معه من المؤمنين. إذ قالوا لقومهم يعني من الكفار. إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله فتبرؤوا منهم فهلا تبرأت أنت يا حاطب من كفار أهل مكة ولم تفعل ما فعلته من مكاتبتهم وإعلامهم.

ثم قال كفرنا بكم يحتمل وجهين:

أحدهما: كفرنا بما آمنتم به من الأوثان.

الثاني: بأفعالكم وكذبنا بها..

قال الإمام البغوى في تفسيره

(قد كانت لكم أسوة) قدوة (حسنة في إبراهيم والذين معه) من أهل الإيمان (إذ قالوا لقومهم) من المشركين (إنا برآء منكم) جمع بريء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) جحدنا وأنكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله

وحده) يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) يعني : لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه : لأستغفرن لك ثم تبرأ منه - على ما ذكرناه في سورة التوبة - (وما أملك لك من الله من شيء) يقول إبراهيم لأبيه : ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به (ربنا عليك توكلنا) يقوله إبراهيم ومن معه من المؤمنين (وإليك أنبنا وإليك المصير

فهذه كتب التفاسير وكلام ابن عاشور النحوي وكلام شيخ المفسرين

لا يوجد فيها معنى كفرنا بكم أي كفرناكم . فمتى تعقلون وترجعون

الله المستعان

"(بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين "

"الفرق بين أصل الدين والتكفير"

١-أصل الدين هو حق الله علي العبيد وهو أفراد الله بالتوحيد وليس بالتكفير وبه أرسل الله الرسل وانزل الكتب وأقام به الحجة علي العالمين أقامها بالتوحيد بالفطرة لا بغيرهما والأدلة وضحناها في ما سبق لا داعي لإعادته

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (أجمع العلماء سلفا وخلفا من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه) الدرر ١١/٥٤٥- ٥٤٦)

فأصل الدين واضح في كتاب الله جل وعلا أشد من وضوح الشمس في كبد السماء لا يحتاج لعناء لكشفه ولا يحتاج جهد لفهمه وذكره الله في أكثر من مائة آية في القرآن وغير الأحاديث الصحيحة الصريحة

٢- أصل الدين هو ميثاق الفطرة لا عذر فيه بالجهل ولا تشترط فيه اقامة الحجة لأنه حق الله علي العبيد ولذلك خلقهم فهو فطرة الله وصبغة الله جل وعلا

٣- أصل الدين لا يُأخذ من قول عالم ولا إمام فمرجعه للكتاب والسنة والإجماع

٤-أصل الدين مرتبة واحدة ومنزلة واحدة لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يقبل الاستنتاج الباطل أو القياس الفاسد أو الاستنباطات المركبة ولا التفسير الضلالي كما يفعل صبية النت الغلاة أصحاب الهوي لأنه واضح جلي لا يحتاج لتكلف لمعرفته وهذا من فضل الله على الناس أجمعين فلا يكلفهم مالا يطيقون (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ولا يُنزل لهم شيء مبهم غير واضح لا يعقلونه حاشاه جل وعلا بل أنزله بلغة العرب فهمه الأعاجم وفهمه الغبي والذكي أنزله جل وعلا ووضحه

٥- اجمعت الأمة عليه ولم تختلف الامة على أصل الدين فلا بارك الله في أمه تختلف في اصل دينها كاليهود والنصارى فالحمد لله لم تختلف أمة محمد صل الله عليه وسلم على أن اصل الدين أفراده بالتوحيد واجتناب الشرك والبراءة منه إلا أفراخ التكفير والخوارج قالوا " التكفير أصل" وزاد فرخ من فروخهم قال والتكفير فطرة الله فطر الناس عليها خاب وخسر الخبيث ففطرة الله التي فطر الناس عليها توحيده وافراده بالتوحيد والعبادة واجتناب عبادة ماسواه فمن أدخل في أصل الدين ما ليس فهو على خطر عظيم

٦-أصل دين الإسلام هو هذا: إخلاص العبادة لله وحده دون كل ما سواه والكفر بعبادة غيره، يعني إنكار عبادة غيره واعتقاد بطلانها وأنها شرك .

هكذا بعث الله جميع الرسل، من أولهم نوح إلى آخرهم وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، وهكذا علم الله آدم وشرع له، فعبدالله وحده، وهكذا ذريته على دينه عليه الصلاة والسلام، حتى وقع الشرك في بني آدم في عهد نوح عليه الصلاة والسلام.

وكل رسول بلغ أمته أنه مبعوث لهم ليأمرهم بتوحيد الله والإخلاص له. فنوح عليه السلام قال لقومه: اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)

فجميع الأنبياء والرسل أتوا بتوحيد الله وأفراده بالتوحيد ونبذ الشرك من لدن نوح حتى خاتم الأنبياء والمرسلين

فعنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَ أَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا)

أرأيت ماذا قال النبي صل الله عليه وسلم للصحابة وبماذا أمره ربه تأمله ؟!

فلو كان التكفير أصل الدين لبينه الله لرسوله ولبينه رسوله لهذه الأمة فلا يجوز تأخير البيان وقت الحاجة وخاصة هذا أصل مبنى عليه كفر وإيمان كما زعم الغلاة

٧- أصل الدين رتب الله عليه ثواب وعقاب من حققه دخل الجنة ومن لم يحققه دخل النار . والأدلة فيما سبق راجعه :

ثانياً (التكفير)

١-التكفير حكم شرعي من أحكام الله جل وعلا التي شرعها لا مدخل للعقل فيه إنما بالدليل من الكتاب والسنة والاجماع كما قال رسول الله صل الله عليه وسلم (إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) أي دليل واضح من الكتاب والسنة

قال شيخ الإسلام :"وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفْرَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ مرجعه للكتاب والسنة" بتصرف .

وقال المحدث الكشميري: "التكفير حكم شرعي، يرجع إلى إباحة المال، وسفك الدم، والحكم بالخلود في النار، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية، فتارةً يدرك بيقين وتارة يظن غالب وتارةً يتردد فيه، ومهما حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير أولى"

٢-والتكفير لا يدخل في مسائل أصل الدين لكنه من مقتضى أصل الدين ومن لوازم "لا إله إلا الله) فمن لم يكفر المشركين يكفر اجماعاً لأنه نقض أصل الدين

وتكفير المشركين من الاحكام المجمع عليها بين علماء الامة قاطبة وساق الإجماع القاضي عياض في الشفا وابن حزم في الملل والنحل ومن لم يكفرهم يكفر بالإجماع ولكن ليس من أصل الدين بل هو من وجبات الدين ومن لوازم الكفر بالطاغوت

٣-التكفير ليس على مرتبة واحدة لكنه على مراتب اعلاها ما هو معلوم من الدين من الضرورة كا تكفير من كفره الله ورسوله على التعين كإبليس وفرعون وأبو لهب وكل من دان بغير دين الاسلام كاليهود والنصارى وعُباد الأصنام وأدناها ما اختلف فيه بين العلماء كا تارك الصلاة وغيره

٤- التكفير مختلف فيه بين علماء الأمة قديما وحديثا وحدث نزاع فهذا يشترط شروط وموانع وذاك لايشترط والاخر لا يكفر المعين وذاك يكفره

وهذا لا يقبل الكفر بالتأويل وذاك يقبل التأويل فلو كان من أصل الدين ما تنازعوا فيما بينهم ألا ترى أنهم متفقون بل مطبقون على أصل الدين ومختلفون في التكفير أين عقولكم ؟!

٥-*ولو كان التكفير من أصل الدين لبينه الانبياء لأ قوامهم فلا يجوز تأخير البيان وقت الحاجة وهل هناك حاجة اعظم من حاجة العبد لتوحيد ربه جلا وعلا

٦-ولو كان التكفير أصل الدين لما أختلف الصحابة في تكفير من ظاهر المشركين على المسلمين وما كانوا توقفوا رضى الله عنهم في تكفيرهم

قال جل وعلا(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) هذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين كان بين الصحابة وفجأة انقلبوا عليهم وظاهروا المشركين فاختلف الصحاب فيما بينهم في تكفيره فريق قال مسلمين وفريق قال كفروا . فأنزل الله جل وعلا الآيات يلوم الصحابة علي الاختلاف فقط وبين لهم كفر هؤلاء .

قال فرخ من فروخ الخوارج لما انصدم بهذه الآية وعدم تكفير الصحابة فلم يجد رد علي مخالفيه ألا أن قال لعنكم الله من كفار تكفرون الصحابة فضحكت من جهل هذا الفروج الخارجي!

قال القاضي عياض

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف

أو يختلف فيه وما ليس بكفر قال:

اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه . أنتهى هيا فليكفروا القاضي عياض

قال الإمام ابن القيم :

الكفر حق الله ثم رسوله ... بالنص يثبت لا بقول فلان

من كان رب العالمين وعبده.. قد كفراه فذاك ذو الكفران

فهلم ويحكم نحاكمكم إلى ..النصين من وحي ومن قرآن

قال شيخ الإسلام رحمه الله

التكفير حكم شرعي يرجع إلى اباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية فيدرك إما بنص،

وإما بقياس على منصوص !

وقال رحمه الله فإن الكفر والفسق أحكام شرعية

ليس ذلك من الاحكام التي يستقل بها العقل فالكافر من جعله الله و رسوله كافرا، و الفاسق من جعله الله و رسوله فاسقا، كما أن المؤمن و المسلم من جعله الله و رسوله مؤمنا مسلما. منهاج السنة ٩٢/٥

الكفر حكم شرعي متلقي عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفراً في الشرع".

وقال أيضا: إِنَّ تَسْلِيطَ الْجُهَّالِ عَلَى تَكْفِيرِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ؛ وَإِنَّمَا أَصْلُ هَذَا مِنْ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ أَئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِمَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَخْطَئُوا فِيهِ مِنْ الدِّينِ. وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ عُلَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ لَا

يَجُوزُ تَكْفِيرُهُمْ بِمُجَرَّدِ الْخَطَأِ الْمَحْضِ "

وقال الهراس شارح "النونية":" إنه ليس لأحد من الناس أن يكفر أحدا لمخالفته له في رأيه، بل التكفير حق لله ورسوله وحدهما، فلا يثبت إلا بالنص ولا يقع برأي أحد ولا بقوله، فمن كفره الله ورسوله فهو الكافر حقا"

ومن هنا يتبين أن التكفير حكم شرعي يعرف بالدليل والنص الشرعي

وليس اصل الدين لكنه من لوازم الدين ومن الاحكام الشرعية التي تعرف بالدليل من الكتاب والسنة والإجماع .

فدعك من أهل الاباطيل الذين يعتقدون ثم يستدلون علي اعتقادهم !!

فأين هؤلاء من هذه الاقوال ؟!

والله المستعان

"(بيان أصل في هدم قواعد الغلاة التكفيريين)"

بينت فيما سبق بما لا يدع للشك " أن التكفير ليس من أصل الدين"

إنما هو تخرص من الغلاة مبني علي استنباطات وتفسيرات فاسدة وعلى توهم باطل تخيلوه واستدلوا عليه بأهوائهم فاستدركوا علي الشرع وزايدوا على فهم الصحابة والسلف !

فإذا كان التكفير من أصل الدين لرتب الله عليه ثواباً وعقاباً فمن كفر دخل الجنة ومن لم يكفر دخل النار وهذا لن تجده لا في كتاب ولا في سنة وفى المقابل رتب على التوحيد "أصل الدين" ثوابا وعقابا وكفر وإيمان ،

" عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))؛ أخرجه الشيخان،

فعن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لمعاذ رضي الله عنه :

(مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) رواه البخاري ومسلم .

بوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد

(باب من حقَّق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب)

وعن حُصَيْنِ بْنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ: أَيّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الّذِي انْقَضّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمّ قُلْتُ: أَمَا إِنّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاَةٍ. وَلَكِنّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اَرْتقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدّثَنَاهُ

الشّعْبِيّ. قَالَ: وَمَا حَدّثَكُمُ الشّعْبِيّ؟ قُلْتُ: حَدّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ، أَنّهُ قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلاّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدّثَنَا ابْنُ عَبّاسٍ عَنِ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم أنه قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيّ الأُمَمُ. فَرَأَيْتُ النّبِيّ وَمَعَهُ الرّهَطُ. وَالنّبِيّ وَمَعَهُ الرّجُلُ وَالرّجُلاَنِ. وَالنّبِيّ ولَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ. إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَظَنَنْتُ أَنّهُمْ أُمّتِي. فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىَ وَقَوْمُهُ. وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمّتُكَ. وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ».

ونتحدى الغلاة أن يأتوا لنا بدليل صحيح صريح أن التكفير رتب الله عليه ثواب وعقاب إذا كان هو أصل الملة فليزم أن من أخطأ في أصل الملة أن يكون هناك نص علي عقابه

ومن أقام الملة يكون هناك نص علي ثوابه ؟!. أنا منتظرين ،

*فالتوحيد هو أصل الدين وعليه إجماع الأمة سلفا وخلفا ولم تختلف الأمة علي هذا الأصل العظيم وبه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وأقام الله به الحجة علي العالمين وهو أفراد الله بالتوحيد واجتناب الشرك والبراءة منه

قال تعالى ((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)

وقال : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

وقال (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

فأصل دين الإسلام هو هذا: إخلاص العبادة لله وحده دون كل ما سواه والكفر بعبادة غيره، يعني إنكار عبادة غيره واعتقاد بطلانها وأنها شرك .

هكذا بعث الله جميع الرسل، من أولهم نوح إلى آخرهم وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، وهكذا علم الله آدم وشرع له، فعبدالله وحده، وهكذا ذريته على دينه عليه الصلاة والسلام، حتى وقع الشرك في بني آدم في عهد نوح عليه الصلاة والسلام.

لما أفلس الغلاة ولم يجدوا دليلا صريحا صحيحا من الكتاب والسنة على ان التكفير هو اصل الدين ومن الفطرة لجؤا للاستنباطات من بعض المواقف وبعض اقوال ائمة نجد وخاصة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فلما أتينا لهم بكلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب يخالف ما يعتقدون لجؤا لتأويل كلام الشيخ رحمه الله حسب ما يعتقدون قلنا لهم أنتم تأولون الكلام الشيخ حسب ما تعتقدون وكذلك المخالف يتأول كلام الشيخ حسب اعتقاده فلماذا تلامون علي المخالف وتكفرونه بكل صفاقة وكفروا العاذر ؟!

فالعاذر لم يعبد غير الله فلم يسجد لصنم ولا لوثن ولا لقبر مجتنب للشرك وأهله محققا للشهادتين لكنه اختلف معك في انزال مناط الحكم على شخص معين لشبهة عنده وأدله تأولها سواء كانت نصوص شرعية أو أقوال لعلماء نجد يظن منها القارئ الذى لا يفهم منهج أئمة نجد أنهم يعذرون .

وللعلم معاشر الافاضل أن فهناك اقوال أطلقها علماء نجد في تكفير العاذر بأطلاق

وهناك أقوال اشترطوا فيها قيام الحجة قبل تكفير العاذر بمعنى قيدوها بإقامة الحجة

وسأكتفي بنقلين فقط حتى لا يُطال بنا المقام .

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: (وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام قال : أشهد أننا كفار وأن المطوع الذي يسمينا أهل إسلام أنه كافر) .

وقال الشيخ عبدالله وإبراهيم ابنا الشيخ عبداللطيف والشيخ بن سحمان: (لا تصح إمامة من لا يكفر الجهمية والقبوريين أو يشك في كفرهم وهذه المسألة من أوضح الواضحات عند طلبة العلم وأهل الأثر وكذلك القبوريين لا يشك في كفرهم من شم رائحة الإيمان) .

فهذه النقولات أطلقوا فيها تكفير العاذر مباشرة .

وهذه أقوال أخرى لأئمة الدعوة تبين أن العاذر بالجهل لا يكفر إلا بعد البيان وإليك النقولات :

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب: (إلى إخواني ... ما ذكرتم من قول الشيخ كل من جحد كذا وكذا وقامت عليه الحجة وأنكم شاكون في هؤلاء الطواغيت وأتباعهم هل قامت عليهم الحجة فهذا من العجب كيف تشكون في هذا وقد أوضحته لكم مرارا ..) .

فتاوى الأئمة النجدية ٣/٧٠

فلم يكفر الشيخ طلابه وهم كانوا شاكين في كفر الطواغيت، فتأمل !

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: (وأما قول السائل فإن كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ما حكمه ؟ فالجواب : لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكا في كفرهم أو جاهلا به أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ولكن لا يقدر على مواجهتهم وتكفيرهم ، فإن كان شاكا في كفرهم أو جاهلا بكفرهم بينت له الأدلة من الكتاب والسنة على كفرهم فإن شك بعد ذلك أو تردد فإنه كافر بإجماع العلماء) فتاوى الأئمة النجدية ٣/٧٣

وقال الشيخ محمد بن اللطيف: (من خصص بعض المواضع بعبادة أو اعتقد أن من وقف عندها سقط عنه الحج فإن كفره لا يستريب فيه من شم رائحة الإيمان ومن شك في كفره فلا بد من إقامة الحجة

عليه وبيان أن هذا كفر وشرك، فإن أقيمت الحجة عليه وأصر فلا شك في كفره) .

ويلاحظ مما سبق؛ أن أئمة الدعوة لهم نقولات صريح بتكفير العاذر بالجهل مباشرة ،

ولهم أيضا نقولات صريحة بعدم تكفير العاذر إلا بعد البيان وإقامة الحجة !

فالموقف الصحيح الذي عليه أهل السنة في قضية الاستدلال "إن يحمل المطلق علي المقيد " هذا هو الصحيح أما أهل الغلو فتخييروا واخذوا بإطلاق أئمة نجد ليوافق بدعتهم وتجاهلوا التقييد الذى قيدوه علماء نجد حيث اشترطوا قيام الحجة وهذا هو الصحيح !

وبنفس الغلو والضلال تعاملوا مع " قاعدة من لم يكفر الكافر فهو كافر"

(من لم يكفر الكافر فهو كافر)

أجمع العارفون بأصول الشريعة أن هذه القاعدة ليست على أطلاقها فهي خاصة الكافر الأصلي ككفر اليهود والنصارى وكفر فرعون وأبو لهب وغيرهم من الكفار الذين ذكرهم اله في القرآن وذكرهم رسولنا في السنة والاجماع منعقد على كفرهم لا يختلف علي كفرهم أثنين من المسلمين كما قال القاضي عياض وابن حزم كا كفر اليهود والنصارى والوثنيون وأبو لهب وفرعون فهؤلاء لاشك في كفرهم بالإجماع ومن لم يكفرهم لأنه يعتبر رادا للنصوص ومكذب للقرآن والسنة والاجماع ، لكن خلاف العلماء في المسلم الذى دخل الإسلام وطرئ عليه شركا أو كفرا خطأ أو جهلا أو تأولا هنا جدث النزاع بين علماء الأمة أجمعوا أنه فعل الشرك ووقع في الشرك لكنهم اختلفوا في انزل مناط الحكم عليه منهم من أطلق الكفر عليه ومنهم من اشترط قيام الحجة قبل تكفيره ومنهم

أعتبره جاهلا معذر بالجهل لابد من إزالة عنه الشبه وكلا له أدلته سواء كانت صحيحة أو تأولها أو أخطأ في فهم النص وتأوله فمثلا من العلماء من يستدل بقوله تعالى (وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)

فيقول إذا كان الله أمرنا أن نبين للكافر ونسمعه كلام الله فمن باب أولى المسلم الذى وقع في الشرك جاهلا أو متأولا نبين الله كلام الله وحكمه

والاخر يستدل (وما كان معذبين حتى نبعث رسولا)

والأخر يستدل بذات انواط

فلست بصدد لمناقشة ادلتهم الآن !

نحن بصدد قاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) وما حدث من خلط عند البعض في فهم هذه القاعدة الصحيحة

(من لم يُكفِّر الكافر فهو كافر) لا بد أن نرجع بها إلى أصلها في الشريعة، ونرى مأخذ التكفير بها وفقاً لدلالة النصوص على ذلك فأقول :

أولًا: هذه القاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) قاعدة صحيحة لا غبار عليها، ولكنها مع ذلك ليست نصًّا في كتاب الله أو سُنّة النبي عليه الصلاة والسلام أو إجماع الأمة، وإذا كانت كذلك، فلابد من ردها إلى أصلها ومخرجها في الكتاب والسنّة وفهمها من خلالهما، فإن التكفير لا يكون إلا بما دلّ عليه الكتاب والسنّة أو الإجماع .

ثانيا: إذا تأملنا هذه القاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر)، وجدنا دلالة الكتاب والسنة على التكفير بها من باب اللوازم والمآلات لا من باب التكفير الصريح المحض الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة دلالة قطعية وصريحة، فمن لم يكفر الكافر يلزمه رد النصوص التي كفرت هذا الكافر أو التكذيب بها ،أو الرضى بكفر

الكافر وتصحيح مذهبه، فالتكفير بهذه القاعدة يرجع حقيقته إلى أمرين:

الأول: تكذيب النصوص التي قضت بتكفير الكفار أو ردها، سواء كانوا معينين من قِبل الشارع أو جاء التكفير على أوصاف وأفعال من قامت به حكم بكفره .

الثاني: الرضا بالكفر وتصحيحه .

فإذا ثبت هذا نكون قد رجعنا بهذه العبارة إلى أصلها في الشريعة، وكلا الأمرين كفر بإجماع الأمة ولكن يأتي في...

ثالثاً: إذا ثبت أن تكفير من لم يكفر الكافر من نوع التكفير باللوازم والمآلات، فإن هذا النوع محل اجتهاد المجتهدين واختلاف الأنظار، وهذا يرد عليه احتمال الخطأ والتأويل .

ويلزمهم تكفير من لم يكفر من ظاهر المشركين

مظاهر المشركين كفر بإجماع المسلمين " والصحابة الكرام توقفوا واختلفوا في تكفير من ظاهر المشركين فبعضهم قال عنهم مسلمين والآخرون قالوا كافرين

فأنزل الله الآيات يلوم عليهم الاختلاف والفرقة فقط

ولم يعاتبهم في التكفير وبين لهم حكم هؤلاء الكافرين قال تعالى (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا)

فليزم هؤلاء تكفير الصحابة وحاشاهم رضوان الله عليهم ، ويلزمهم تكفير ائمة الدعوة فلهم كلام يقيدون تكفير العاذر بإقامة الحجة عليه !

رابعًا: كلام أهل العلم مهما علت رتبتهم في العلم وبلغت منزلتهم في الفضل لا يقاس عليه بمجرده ما لم يرد إلى هذا الأصل؛ لأنه ليس شرعًا منزلًا ولا بيانًا مُحكَمًا .. فكلام شيخ الإسلام في ابن عربي وفي من ادعى الإلهية في علي رضي الله عنه، وكذا كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة في طواغيت الخروج وغيرهم إذا تأملته وجدت ما ذكروه يتفاوت ظهورًا وخفاءً، وأغلبه كفر صريح واضح لا إشكال فيه، لا مجال لمتأول أن يتأوله أو يتوقف فيه ..

ومع شناعة ما حكى شيخ الإسلام من حال ابن عربي وابن سبعين وغيرهم فقد قال:

"ولكن هؤلاء الْتَبَس أمرهم على مَن لم يعرف حالهم، كما الْتَبَسَ أمر القرامطة الباطنية لما ادعوا أنهم فاطميون، وانتسبوا إلى التشيع، فصار المتبعون مائلين إليهم، غير عالمين بباطن كفرهم..." ا.هـ.

ومع ذلك فلا يقاس على كلام أهل العلم في هؤلاء غيرهم بل يكون المُنطلَق في التكفير في كل حاله هو الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ..

خامساً: من لم يُكفِّر الكافر إذا تحقق أنه يُكذِّب النص أو يرده أو يصحح الكفر أو يرضى به فهو كافر .. ليس لأنه لم يكفر الكافر أو يشك في كفره، بل لأنه كذَّب النص أو رده أو صحح الكفر أو رضي به ..وكل هذا كفر دل عليه الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ..

سادساً: أهل الغلو لما جعلوا تكفير الكافر من أصل الدين وجعلوه بمعنى البراءة من المشركين لم يقبلوا بهذه الأعذار لأن أصل الدين الذي قرروه لا يُقبَل فيه العذر بالجهل أو بالتأويل أو غيره إلا الإكراه ...

سابعًا: تكفير الكافر ليس هو البراءة منه لا لغة ولا شرعًا، وقد يتبرأ من الشرك والمشركين بغير التكفير كالحكم عليهما بالبطلان مع اجتنابها وسيأتي كلام الشيخ البابطين في ذلك ، وليس هو الكفر بالطاغوت، فقد قال تعالى : والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها .. " فترك عبادتها مع الحكم ببطلانها كفر بها، وإذا آمن العبد بالله ولم يشرك به شيئاً فقد كفر بالطاغوت بل بكل طواغيت الأرض ، وإنما ذكر هذا القول في كلام أهل العلم في بعض المواضع من باب ذكر القول بلوازمه ومقتضياته لا من باب التفسير المطابق للمعنى، وقد سبق تفسير كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي يحتج به البعض ، وعلى أية حال فإن كلام أهل العلم ينبغي أن يعرف أصله في الشريعة ويرد إليها كما سبق، والقوم يركزون جهدهم على التكفير وكأنه هو الأصل الأوحد في الدين، وجعلوا أنفسهم بوابة التوحيد والإسلام ..فمن يُرِدْ أن يكون موحدًا فلابد أن يبحث عن أحدهم أولًا ليدله على طاغوت زمانه الذي لا يكون مؤمنًا إلا بتكفيره والكفر به! ..

ثامنا: البراءة من المشركين تثبت بعد الحكم عليهم بأنهم مشركون ومن لم يثبت لهم حكم الكفر لخطأ أو تأويل أو جهل فلا يقال عنه إنه لم يتبرأ من المشركين أو إنه يُكذِّب النصوصَ أو إنه يصحح الكفر ويرضى به ..

ومنشأ الخلل اعتبارهم التكفير للمشركين هو نفس البراءة منهم، والبراءة منهم هي أصل الدين وركن التوحيد ومن لم يحققه -لأي سبب كان- فهو كافر ولا يعذر بما سبق ..

وكل مَن يقرر هذا يلزمه التكفير بالتسلسل لا محالة حتى يعود الكفر على كل مَن على هذه الأرض بما فيهم أهل الغلو أنفسهم...

وإذا أردنا أن نتبين بطلان قولهم: إن تكفير المشركين من أصل الدين ننظر إلى ما يقابله من معنى

وهو الحكم بالإسلام على المسلمين فتكفير المشركين يقابل الحكم بالإسلام على المسلمين فهذا من البراء وهذا من الولاء.

فإذا كان تكفير المشركين من أصل الدين فالحكم بالإسلام على المسلمين أيضاً من أصل الدين!

فهذا براء وهذا ولاء!

بل إن النص قد جاء في النهي عن تكفير المسلمين والوعيد في ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما..".

فيلزم حينئذ أن يكون الخطأ أو التأويل في تكفير المسلمين إخلالًا بأصل الدين كما أن الخطأ والتأويل في الحكم بإسلام المشركين هو إخلال بأصل الدين .

فنقول لهؤلاء الغلاة: كيف كان موقف أهل العلم ممن يكفر المسلمين خطأ أو تأويلًا أو جهلًا ؟

وقد كفر عمر بن الخطاب حاطب رضي الله عنهما خطأ وتأولاً ، وكفر أسيد بن حضير سعد بن عبادة خطأ وحمية.

فإن قالوا بعذر من كفر مسلما خطأ أو تأولا أو جهلا،- وهو الصحيح - قلنا لهم ومثله يقال فيمن لم يكفر المشركين خطأ وتأولاً وجهلاً !

وإن قالوا: لا يعذر في الاثنين !

قلنا لهم: فما بال أهل العلم قد اختلفوا في تكفير الخوارج مع تكفيرهم لسادات المؤمنين من الصحابة والتابعين؟

أتراهم اختلفوا في تقرير التوحيد وأصل الدين؟

- قال شيخ الإسلام: وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) فقد سماه أخاه حين القول، وقد

أخبر أن أحدهما باء بها، فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه بل فيه كفر ا.هـ مجموع الفتاوى (٣٥٥/٧).

وقال: "والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالًا للأمة وتكفيرًا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع ا.هـ (٢١٧/٧-٢١٨).

وقال الإمام النووي رحمه الله:

(أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلا رجعت عليه)،" هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث إن ظاهره غير مراد، وذلك أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا، وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، وإذا عُرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه: أحدها أنه محمول على المستحل لذلك، وهذا يُكفّر ، فعلى هذا معنى (باء بها) أي بكلمة الكفر ، وكذا حار عليه وهو معنى رجعت عليه أي رجع عليه الكفر فباء وحار ورجع بمعنى واحد.

والوجه الثاني معناه: رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره، والثالث محمول على الخوارج المُكفِّرين للمؤمنين وهذا الوجه نقله القاضي عياض - رحمه الله - عن الإمام مالك بن أنس وهو ضعيف؛ لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع.

والوجه الرابع معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر وذلك أن المعاصي كما قالوا بريد الكفر ، ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر ويؤيد هذا الوجه ما جاء في رواية لأبي عوانة الإسفراييني في كتابه المخرج على صحيح مسلم فإن كان

كما قال وإلا فقد باء بالكفر ، وفي رواية (إذا قال لأخيه يا كافر وجب الكفر على أحدهما) .

والوجه الخامس معناه فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر ، بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرًا، فكأنه كفَّر نفسه إما؛ لأنه كفَّر من هو مثله، وإما لأنه كفَّر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام، والله أعلم. ا.هـ".

- فهل يا ترى اختلف هؤلاء في تقرير أصل الدين؟

فتبين مما سبق أن تكفير المشركين ليس من أصل الدين وليس من معنى لا إله إلا الله كما يقول الغلاة، وأنه قد يَرِد على مَن لم يكفِّر المشركين الخطأ والجهل والتأويل كما سبق في تقرير المسألة ...

وعليه فالعامي يكفيه أن يعرف أن هذا شرك وضلال ويتركه ولا يفعله وإن لم يخطر بباله مسألة تكفير فاعله، وفي هذا - يقول العلَّامة البابطين رحمه الله:

"وفرض على كلّ أحدٍ معرفة التّوحيد وأركان الإسلام بالدّليل ولا يجوز التّقليد في ذلك، لكن العامّي الذي لا يعرف الأدلّة إذا كان يعتقد وحدانية الرّبّ ورسالة محمّد ـ صلّى الله عليه وسلّمـ ويؤمن بالبعث بعد الموت، والجنة والنّار، ويعتقد أنّ هذه الأمور الشّركية التي تفعل عند هذه المشاهد باطل وضلال، فإذا كان يعتقد ذلك اعتقادًا جازمًا لا شكّ فيه، فهو مسلم، وإن لم يترجم بالدّليل؛ لأنّ عامّة المسلمين ولو لقنوا الدّليل فإنّهم لا يفهمون المعنى غالبًا. انتهى.".

أما من لم يكفر الكافرَ من أهل العلم وكان متأولًا في ذلك فهو بلا شك معذور بل هو مأجور إن شاء الله ...

سواء كان التأويل للحكم الشرعي أو كان التأويل لحال المشرك على وجه لا يكون به مشركًا عنده ...

وفي هذه الحال لابد من بيان الحكم الشرعي وإبراز الدليل وكشف الشبهة لأنه يكون بهذا الحال من المسائل الخفية أو الدقيقة فإن لم يقنع العلم بالأدلة فهو معذور لأن مسألة تكفير المعين اجتهاد قال شيخ الإسلام: (وهذه الأنواع الثلاثة تحقيق المناط وتنقيح المناط وتخريج المناط هي جماع الاجتهاد)ا.هـ.

ولا شك أن تكفير المعين من هذا الباب ....

- قال الشيخ العلَّامة سليمان بن سحمان رحمه الله:

" ...وكذلك لو كان هذا مع إباضي، أو مع عُبّاد القبور، والأمر أشد من ذلك وأعظم. فإن كان مع من يواليهم، ويجالسهم فقوله لأحدهم: يا كافر أو يا جهمي خطأ، فإنه لا يقال هذا إلا لكافر أو جهمي قد قامت عليه الحجة وبعد ذلك كابر وعاند، ومن والاهم وجادل عنهم بعدما تبيّن له الحق، واتضح له كلام العلماء في تكفيرهم، وتحققوا أنه قد بلغتهم الحجة، وقامت عليهم بإنكار أهل الإسلام عليهم، وإن لم يفهموا الحجة، ثم كابر وعاند فإن كان عن تأويل فلا أدري ما حاله، وأمره شديد، ووعيده أشد وعيد إن كان غير ذلك، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى، من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور...".

فأين تكفيره لهم وأين بيان أنهم لم يأتوا بأصل الدين والتوحيد؟

علمًا أن هذا الكلام في مَن يوالي المشركين ويجادل عنهم بعدما تبين له الحق، واتضح له كلام العلماء في تكفيرهم، وتحققوا أنه قد بلغتهم الحُجَّة، وقامت عليهم بإنكار أهل الإسلام عليهم، وإن لم يفهموا الحُجَّة، ثم كابر وعاند...

فأين هذا في علماء الإسلام الذين يتبرؤون من الشرك وأهله ويحاربونه بكل ما أُتوا من قوة ،إلا أنهم توقفوا في إطلاق لفظ التكفير عليهم إما لشُبَهٍ عرضت لهم، وإما لعدم تنفيرهم أو لأن

الواقع واقع دعوة أو غير ذلك من الأسباب الشرعية والتي لا تخرج جميعها عن مقاصد الشريعة؟ ومما جاء أيضًا من كلام هذا الإمام رحمه الله:

"وأما قول المعترض: "وبعضهم لا يسلمون عليه، وبعضهم لا يردون السلام

فالجواب أن يقال: فرض هذا من الإخوان فيمن دون الجهمية، والإباضية، وعُبّاد القبور، ممن يواليهم أو يجادل عنهم، وحينئذ فيقال: إن ترك السلام ابتداء وردًّا على من أحدث حدثًا حتى يتوب منه كان من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل به الصحابة، والتابعون، والأئمة المجتهدون، ولنا في رسول الله أسوة حسنة... .

والمقصود أن الإخوان كانوا على طريق مستقيم من هديه صلى الله عليه وسلم وسيرته، وسيرة أصحابه فكفّروا من كفّره الله ورسوله، وأجمع على تكفيره أهل العلم، وهجروا من السلام من لم يكفرهم، ووالاهم، وذبّ عنهم؛ لأنهم حملوهم على الجهل وعدم المعرفة، وأنه قد قام معهم من الشبهة والتأويل ما أوجبهم الجدال عنهم؛ لأن هذا عندهم من الدعوة إلى الله، فلذلك ما عاملوهم إلا بالهجر من السلام ابتداءً وردًّا، فإذا كان هذا هجر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الصادقين المخلصين لما اقترفوا هذا الذنب اليسير، وتركه هجر المنافقين لأن جرمهم لا ينجع فيه التأديب بالهجر، فقبل عذرهم، ووكل أمرهم إلى الله، وإنما تركهم عليه الصلاة والسلام من المعاقبة لأنه خاف أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، لا لأن جرمهم لا يحتمل هذا الأمر" كشف الشبهتين ٤٥-٥١.

فهذا الكلام واضح لا يحتاج إلى كثير تأمُّل وهو مبطل لما عليه الغلاة، وهذه بعض من أقوال أئمة الدعوة يؤسس لنفس المعنى الذي قرره الشيخ سليمان رحمه الله:

- قال العلَّامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:

" وقد رأيت سنة أربع وستين ومائتين وألف، رجلين من أشباهكم المارقين بالإحساء، قد اعتزلوا الجمعة والجماعة، وكفَّروا مَن في تلك البلاد من المسلمين، وحجتهم من جنس حجتكم؛ يقولون: أهل الإحساء يجالسون ابن فيروز ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يَكفر بالطاغوت، ولم يصرح بتكفير جده، الذي يرد دعوة الشيخ محمد، ولم يقبلها وعاداها،- قالوا: ومن لم يصرح بكفره، فهو كافر بالله، لم يكفر بالطاغوت، ومن جالسه فهو مثله.

ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين، ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام، حتى تركوا رد السلام. فرُفِعَ إليّ أمرهم، فأحضرتهم وهددتهم، وأغلظت لهم القول، فزعموا أولًا أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- وأن رسائله عندهم، فكشفت شبهتهم، ودحضت ضلالتهم، بما حضرني في المجلس، وأخبرتهم ببراءة الشيخ من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يُكفِّر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر والكفر بآيات الله ورسله، أو بشيء منها بعد قيام الحجة، وبلوغها المعتبر كتكفير من عَبَدَ الصالحين، ودعاهم مع الله، وجعلهم أندادًا له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية، وهذا مجمع عليه عند أهل العلم والإيمان...: ا.هـ.

فهذا تصريح من الشيخ العلَّامة بأن التكفير مبني على هاتين المقدمتين الضالتين، وهاتان المقدمتان هما ما بنى عليهما أبو مريم المخالف منهجه الفاسد ...

- وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

" إن هؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم وجوبَ طاعةِ مَن دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسلام، كيف لا وهم يحلون ما

حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويسعون في الأرض فسادًا بقولهم وفعلهم وتأييدهم، ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلًا لا ينقلهم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لأنه لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم " ا.هـ (الرسائل الشخصية،١٨٨).

وكما هو واضح أن الكلام هنا عن طواغيت هذا حالهم ..

فهل يقال "فاسق" في من يجادل عن الطواغيت أو من يخالف في التوحيد وأصل الدين؟!

- وقال رحمه الله : "...ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم؛ فهذا النوع أيضًا: لم يأت بما دلت عليه، لا إله إلا الله، من نفي الشرك، وما تقتضيه من تكفير من فعله، بعد البيان إجماعًا" ا.هـ.

والكلام واضح صريح في تقيُّده بالبيان.

فهنا ينبغي التنبيه إلى أن تكفير المشركين ليس من معنى لا إله إلا الله التي تدل على نفي الشرك وإفراد الله بالعبادة، وإنما هي من مقتضياتها وموجباتها، ولذا فرّق الشيخ -رحمه الله- بينهما بقوله في التكفير "بعد البيان إجماعًا" وهذه هي المسألة الدقيقة التي ضل فيها هؤلاء الغلاة مما يجعلها ليست من صلب التوحيد، وقد سبق ما يجب على العامِّيّ في مثل هذا الحال...

- وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي:

(قد أُوجِبَ على كل مسلم محبة كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية، وأن عليه موالاته ونصرته بنفسه وماله واعتقاده وكل من كان يخالف ذلك، من أهل الزيغ والانحراف والضلال فإنه يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان، فما الولاء والبراء إلا الحب والبغض في الله وهما أصل الإيمان، فأصل الإيمان أن تحب في الله

أنبياءه ورسله وأتباع رسله، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله وأعداء المؤمنين في كل زمان ومكان، وكل من حكم الشرع بتكفيره فإنه يجب تكفيره، ومن لم يُكفِّر من كفَّره الله ورسوله، فهو كافر مُكذِّب لله ورسوله وذلك "إذا ثبت" عنده كفره بدليل شرعي) (الفتاوى السعدية جـ ١ ص ٢١٥).

- وقال القاضي عياض رحمه الله

(...وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدًا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك...قال القاضي أبو بكر: لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذَّب النص والتوقيف أو شك فيه. والتكذيب أو الشك فيه لا يقع إلا من كافر) ا.هـ (الشفا جـ٢ ص ٦٠٢، ٦٠٣).

علمًا بأن هذا الكلام تحت عنوان تحقيق القول في تكفير المتأولين.

وهذا النقل والذي قبله يدل دلالة واضحة أن كفر من يتوقف في تكفير المشركين والكفار راجع إلى تكذيب النصوص التي تحكم بكفرهم والتكذيب والشك إن حصل عن جهل أو خطأ أو تأويل فهو عذر مقبول كما سبق وأن فصلنا القول في ذلك .

فهل سيرجع الغلاة من بدعتهم

الله المستعان

(٨)

(بيان أصل الدين وهدم قواعد الغلاة التكفيريين)

الحمد لله وكفي وبعد

أن الأصول الثلاثة المعصومة التي يأخذ منها أصل الدين هي " القرآن والسُنة والإجماع" هي عقيدة أهل السُنة والجماعة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي تُقدم فهم الصحابة على فهم غيرهم وإجماع الصحابة على إجماع غيرهم هي الممدوحة والموعودة بالنصر والتمكين ومن خالفها كان من الضالين الهالكين

ولو تزي بزي المسلمين وانتسب لأهل السُنة والسلف الصالحين ،فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات ،وبالانقياد والقبول والسلوك العملي لا بالشعارات ، فإن المنهج العملي للمسلم وتعامله مع الآخرين هو الذى يحكم عليه ويميزه عن غيره من أهل الأهواء و البدع والافتراق فالوقوف مع النص الشرعي وقبوله دون تأويل أو تحريف منهج أهل السنة وفيه النجاة فلابد للأمة أن ترجع إلى هذه الاصول ،

لقد دخلت أكثر صفحات الغلاة فرأيت عجبا يكتب أحدهم بل أكثرهم تجد احدهم منشور طويل عريض ولا يوجد فيه آية ولا حديث إلا نادرا وإذا وجدت تجد صاحب الغلو الضال يتلاعب بتفسيره أو يُأول الآيات ثم تجده يبحث في بطون الكتب ليخرج لك أي مقوله لعالم ولو كانت شاذة ولربما ما قال به أحد غيره

وكل هذا ليقنع القراء أنه علي حق وأنهم حماة التوحيد "وأن التكفير هو أصل الملة " ثم يبحث هذا الباغي عن أي واقعة ليستدل

بها علي وجول التصريح بكفر من علي وجهه الارض فيستدل الجاهل بقول إبراهيم عليه السلام لسارة " يا سارة ليس على وجهه الأرض مؤمن غيري وغيرك) !!!

ويلزم هذا الجاهل أن يكفر نبي الله لوط فكان موجود وقائم بالتوحيد

وهذه واقعة معينه استخدم فيها إبراهيم عليه السلام التورية لحماية وحفظ عرضه من الملك الجبار قال للملك هذه أختي ولم يقل زوجتي مخافة أن يأخذها هذا الملك الجبار فاستخدم ابراهيم عليه السلام التورية وهذا جائز ولا حرج فيه والقصة عند البخاري .
شبهات بعضها فوق وظلمات بعضها فوق بعض يتركوا عشرات الأدلة المحكمة من الكتاب والسنة ويبحثوا عن أي شبهه ويلجئون للمتشابهة والتأويلات والاستنباط الفاسد ليكفروا الأمة ويكفروا مخالفيهم خاب الغلاة وخسروا

ما أضاع الدين إلا أهل الإرجاء والخوارج جعلوا من أصل الدين معضلة كبيرة وزايدوا على رسول الله وعلي الصحابة وعلي الأمة

ولا حول ولا قوة إلا بالله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ولهذا كان رأس الإسلام { شهادة أن لا إله إلا الله } ؛ وهي متضمنة عبادة الله وحده ، وترك عبادة ما سواه ، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه ، كما قال تعالى : {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} ،

[مجموع الفتاوى : ١٥/١٠]:

وقال تعالى : {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (إن الدين عند الله الإسلام}

وقال رسول الله صل الله عليه وسلم لمعاذ (يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟ قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»

وبهذا الاصل أرسل معاذ إلى اليمن يدعوهم إلى التوحيد وليس للتكفير ولو كان التكفير أصل لكان بينه رسول الله لمعاذ ولقال له أدعوهم للتكفير أنظر ماذا قال لمعاذ وتأمل (عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: ((إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتَهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجابٌ)) دعاهم للتوحيد وإلى الصلاة ! فهل منزلة الصلاة أعظم من منزلة التكفير الذي هو أصل الدين كما زعم الغلاة؟!

فإن كان التكفير أصل فلماذا بين لهم منزلة وأحكام الزكاة والصدقة واتقاء دعوة المظلوم ولم يبين لهم منزلة التكفير الذى هو أصل الدين ؟! فالأمر واضح جلي لا يحتاج لتنطع الغلاة فأنتم لستم أحرص من رسول الله صل الله عليه وسلم

ولا أحرص من صحابته على التوحيد وعلى بيان دين الله فلا تستدركوا على رسول الله ولا على شرع ربكم !

فهذا كتاب صحيح البخاري " "كتاب الوحي"

صحيح البخاري. يَبدأ بكتاب بدء الوحي.. ثم كتاب الإيمان. ثم كتاب العلِم.. ثم الوضوء. ثم الغسل. .ثم الحيض. .ثم التيمّم. .ثم

الصلاة.. ثم الزكاة ثم الحج ثم البيوع.. ثم الخصومات والمظالم والشهادات. ثم الشروط والوصايا.. ثم الجهاد.. ثم كتاب بدء الخلق. ثم كتاب أحاديث الأنبياء. ثم فضائل الصحابة. ثم المغازي. ثم التفسير. ثم فضائل القرآن. ثم النكاح والطلاق. ثم الأطعمة والأشربة والطب والأدب. وفي آخره شيء عن استتابة المرتدين.. حتى أحكام المرتد دونوها في كتب الفقه وليست في كتب العقائد وليس في الصحيحين أو في كُتب الحديث باب اسمه التكفير ..وهذه كتب الفقه. .تكلَّمَ الفقهاءُ في الأحكام كلها.. ولمْ يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلّا وتكلموا في حُكْمها. .حتى الفسوة والفسية ..

فكيف نسُو كلُّهم أنْ يقولو إنّ التكفير فريضة أو أنّه أصْلُ الدين. .

ستَجِد التكفير اصل الدين " عند أهل البدَع والأهواء والضلالات. يبْتَدِعون أصولا ثمّ يكفِّرون بها المخالِف ثم يركبون علي هذه الاصول المبتدعة تركيبات يكفرون بها الموحدين ظلما وجهلا وزروا

أجمعت الأمة أن معنى (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله ، وهى نفى وأثبات المنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب. وتثبت الالوهية لله وحدة لا شريك الله ، فالتكفير لا يدخل في معناها اللغوي ولا الشرعي وهذا ما عليه المحققون وعليه الدليل من الكتاب والسنة والاجماع إلا الغلاة يقولون النفي معناه التكفير ! وهذا عين الجهل فاللام نافية لكل جنس من الاجناس سواء بشر أو حجر أو شجر فقد كان أهل الجاهلية يعبدون الأشجار، ومن ضمن ذلك (العزى)، فقد ذكر ابن كثير في التفسير نقلاً عن ابن جرير رحمهما الله تعالى ٢٧١/٤ : أن العزى كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي مكان بين مكة والطائف وكانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولا عزى لكم، وقد هدم البناء وقطع الشجر خالد بن الوليد لما بعثه النبي إلى نخلة لأجل هذا الأمر وجعل يقول :

يا عُزَّى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (أجمع العلماء سلفا وخلفا من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة أن المرء لا يكون مسلما إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه) الدرر ١١/٥٤٥- ٥٤٦) !!!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(إنما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً إذا شهد أن لا إله إلا الله ، فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحداً في تألهه ، ومحبته له وعبوديته وإنابته إليه ، وإسلامه له، ودعائه له ، والتوكل عليه ، وموالاته فيه ، ومعاداته فيه ، ومحبته ما يحب ؛ وبغضه ما يبغض)إهـ مجموع الفتاوى(٨/١٦٤

لم يقل العلماء لا يصير مسلما موحداً مالم يكفر المشركين بل المطلوب من العامي الذى لا يفقه ولا يعرف قواعد التكفير " اخلاص العبادة الله وافراد الله بالتوحيد وعدم الاشراك به قال صل الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله) كفر أي تبرء وجحد وهجر

كل ما يعبد من دون الله أعتبره رسول الله معصوم الدم والمال ولم يقل التكفير

فهل انتم اعلم من رسول الله أم نزل عليكم وحى ؟!! وأظن أنه من وحي الشيطان

قال تعالى (وحي بذلك اظنه وحى من الشيطان لان الوحى انقطع بموته صل الله عليه وسلم

اما التكفير فهي من مسائل الاحكام وليست من مسائل الاصول وهى

من واجبات الدين فاستقيموا معاشر الغلاة

أحاديث تهدم أصول القائلين : (التكفير من أصل الدين)

ونبدأ بحديث ضمام بن ثعلبه الذى سيهدم قواعدهم لو تأملته جيداً ،

[١]- جاء في مسند الإمام أحمد بسند صحيح : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في أصحابه . وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين . فأقبل حتى وقف على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أنا ابن عبد المطلب » . قال : محمد ؟ قال : « نعم » . فقال : ابن عبد المطلب ! إني سائلك ومغلظ في المسألة ، فلا تجدن في نفسك . قال : « لا أجد في نفسي ، فسل عما بدا لك » . قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ؛ آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ فقال : « اللهم نعم » . قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ؛ آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس قال : « اللهم نعم » قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . قال :

ثم انصرف راجعاً إلى بعيره . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ولى : « إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة » . قال : فأتى إلى بعيره ، فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى . قالوا : مه يا ضمام ؟ اتق البرص والجذام ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ، إنهما - والله - لا يضران ولا ينفعان ، إن الله - عز وجل - قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً ، استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

فهذا ضمام ، وهؤلاء قومه ، كانوا جهلة .. ولم يطلب منهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - سوى عبادة الله وحده لا شريك له .

بما يُفهم من معنى لا إله إلا الله .. ثم دعا قومه بها لم يخفى عنه شيء رسول الله من اصول الإسلام وشرائعه ولم يطلب منه تكفير قومه حتى يصح إسلامه ولو كان التكفير أصل أومن أصل الملة لبينه رسول الله له ولدعاه لتكفير قومه فلماذا تزايدوا عن دين الله وعلى رسول الله وتدخلون في أصل الدين ما ليس منه ؟!! عجبا للغلاة أفراخ الخوارج !

والله لو كان هذا الحديث في هذا الباب لكفي لمن يعقل . لكن نستمر بإذن الله في هدم قواعد الغلاة !

[*] وهذا ما فهمه أبو سفيان - رضي الله عنه - عندما كان مشركاً

ماذا فهم ، فهم أن دعوة رسول الله صل الله عليه وسلم للتوحيد وليس دعوة للتكفير .

[٢]- جاء في صحيح البخاري أن هرقل سأله فقال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

هذا ما أمرهم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بداية دعوته .. وقد أُثر عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يغشى الناس في مجالسهم وأسواقهم يقول لهم : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » .

[٣]- وفي صحيح البخاري عن أنس - رضي الله عنه - أن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي - صلى الله عليه وسلم - وضوءه ، ويُناوله نعليه ، فمرض ، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « يا فلان قل لا إله إلا الله » . فنظر إلى أبيه ، فسكت أبوه ، فأعاد عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فنظر إلى أبيه ، فقال أبوه : أطع أبا القاسم . فقال الغلام : (أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله) ، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : « الحمد لله الذي أخرجه بي من النار » .

[٤]- وجاء في صحيح مسلم : « يا معاذ ! أتدري ماحق الله على العباد ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أن تعبد الله ولا يشرك به شيئاً » . قال : « أتدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك ؟ » فقال : الله ورسوله أعلم . قال : « أن لا يعذبهم » .

[٥]- وفي البخاري أيضاً أن أعرابيا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : دلني على عمل ، إذا عملته دخلت الجنة . قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان » . قال : والذي نفسي بيده ، لا أزيد على هذا . فلما ولىّ ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى هذا » .

هذا أعرابي جاهل ، لا يفقه شيئاً .. لم يطلب منه النبي - صلى الله عليه وسلم - سوى ذلك ..

[٦]- وجاء في [فتح الباري] لابن رجب ، عن ابن سيرين ، بسند صحيح : نبئت أن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – كانا يعلمان الناس الإسلام : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة التي افترض الله لمواقيتها ، فإن في تفريطها الهلكة

[٧]- وجاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أحدهم : يا نبي الله ! إنا حي من ربيعة . وبيننا وبينك كفار مضر . ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم ، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، إذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « آمركم بأربع . وأنهاكم عن أربع . اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . وأقيموا الصلاة . وآتوا الزكاة . وصوموا رمضان . وأعطوا الخمس من الغنائم . وأنهاكم عن أربع . عن الدباء . والحنتم . والمزفت والنقير » .

هذا النبي - صلى الله عليه وسلم - يطلب من الوفود القادمة إليه أن يقولوا لا إله إلا الله .. ثم ذكر لهم ما دون أصل الإسلام من صلاة وزكاة

وما إلى ذلك .. فهل بيان الصلاة والزكاة أهم من أصل الدين

[٩]- وجاء عن النسائي بسند صحيح عن أميمة بنت رقيقة - رضي الله عنها - قالت : أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في نسوة من الأنصار نبايعه ، فقلنا : يا رسول الله ! نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا ، وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف ! قال : « فيما استطعتن وأطقتن » . قالت : قلنا : الله ورسوله أرحم بنا ، هلم نبايعك يا رسول الله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «

إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة ، كقولي لامرأة واحدة - أو مثل قولي - لامرأة واحدة » .

وهذا الحديث حجة على نساء الخوارج اللواتي شغالين تكفير الناس عالنت

[١٠]- وجاء في صحيح البخاري : لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن ، قال له : « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى - وفي رواية : إلى عبادة الله - ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا ، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم ، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس » .

هذا ما كان يطلبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من جميع الناس ، ذكيهم وغبيهم ، فطنهم وأحمقهم .. ولم يرد عنه يوماً أنه قال : اعبد الله وحده لا شريك له ، وكفّر المشركين وأخرجهم من الدين ..

فأنى لهؤلاء المبتدعة أن يجعلوا التكفير من أصل الدين ؟

الفرق بين الاصل واللازم

فالتكفير من لوازم أصل الدين ومن واجبات الدين .

أصل الدين : هو ما يُبنى عليه إيمان المرء

(لذلك سُمي أصلاً) .. ويجب أن يكون تاماً مكتملاً ، غير مختل ولا ناقص .. فمن أخلّ بشيء منه ، قلّ أو كثر ، فهو كافر من فوره .. ولا يُسمى مسلماً بحال ..

لازم أصل الدين : هو ما يقتضيه أصل الدين ويترتب عليه .. وقد يخالف المرء في بعض جوانب هذا اللازم ، مع بقاء أصله ، فلا ينتقض ..

وذهاب أصل اللازم هو ذهاب للأصل الذي بُني عليه (أي أصل الدين) ..

الأصل هو : إفراد الله - عز وجل - بالألوهية ، ويقتضي ذلك : تكفير كل من ليس على هذا الأصل ، وهذا التكفير هو اللازم .

فمن خالف في إفراد الله - عز وجل - بالألوهية ، في أي جانب ..

فهو كافر من فوره .. ولا يُعذر بتأويل أو جهل .

ومن خالف في اللازم (التكفير) ينظر في أمره إذا كان متأولاً أو عنده شبهه تقام عليه الحجة وتزال عنه الشبهة

والحمد لله رب العالمين

بقلم الشيخ أبي أنس المسعودي حفظه الله

تفريغ العبد الفقير علي أبو حيدرة